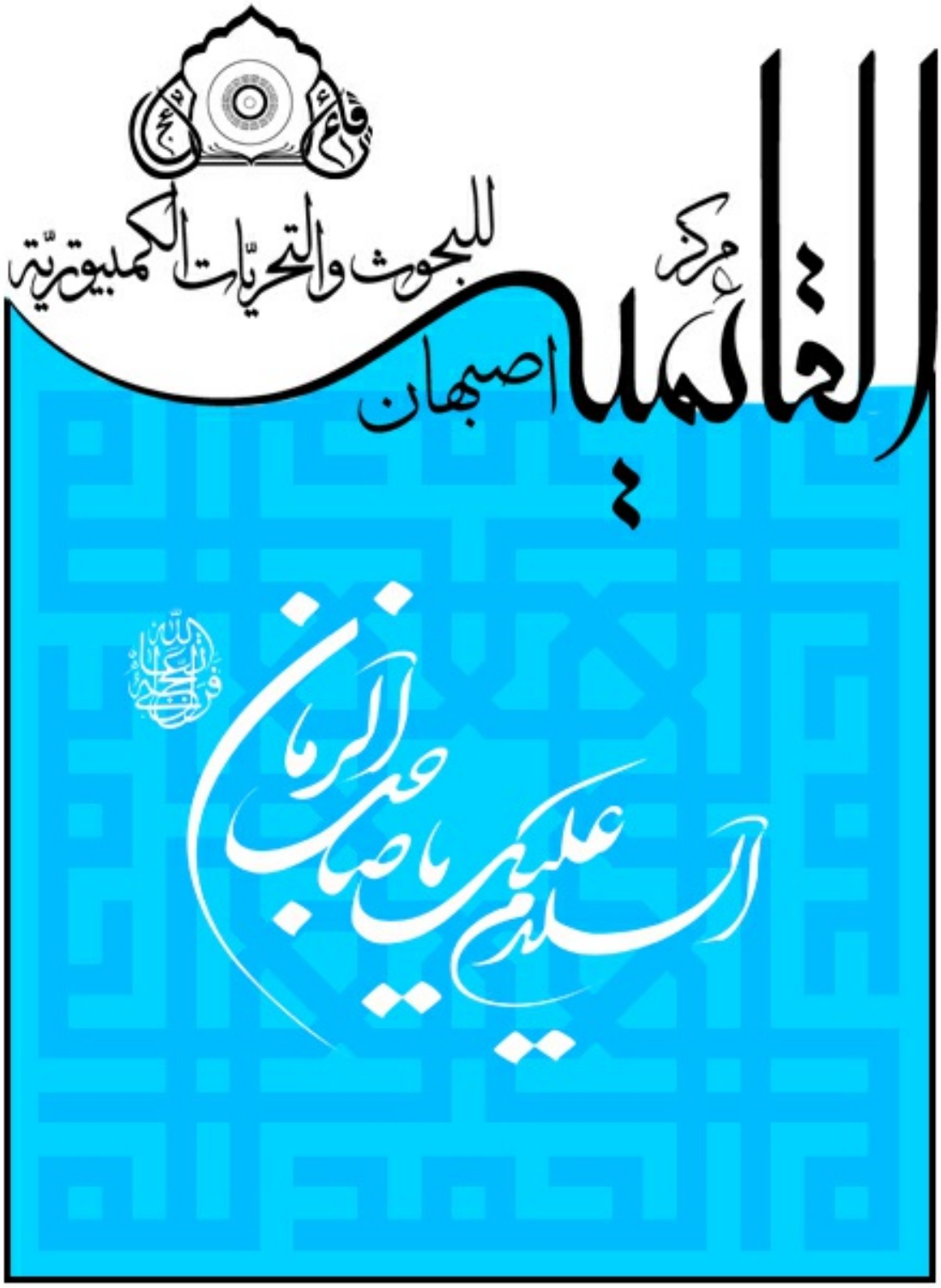

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

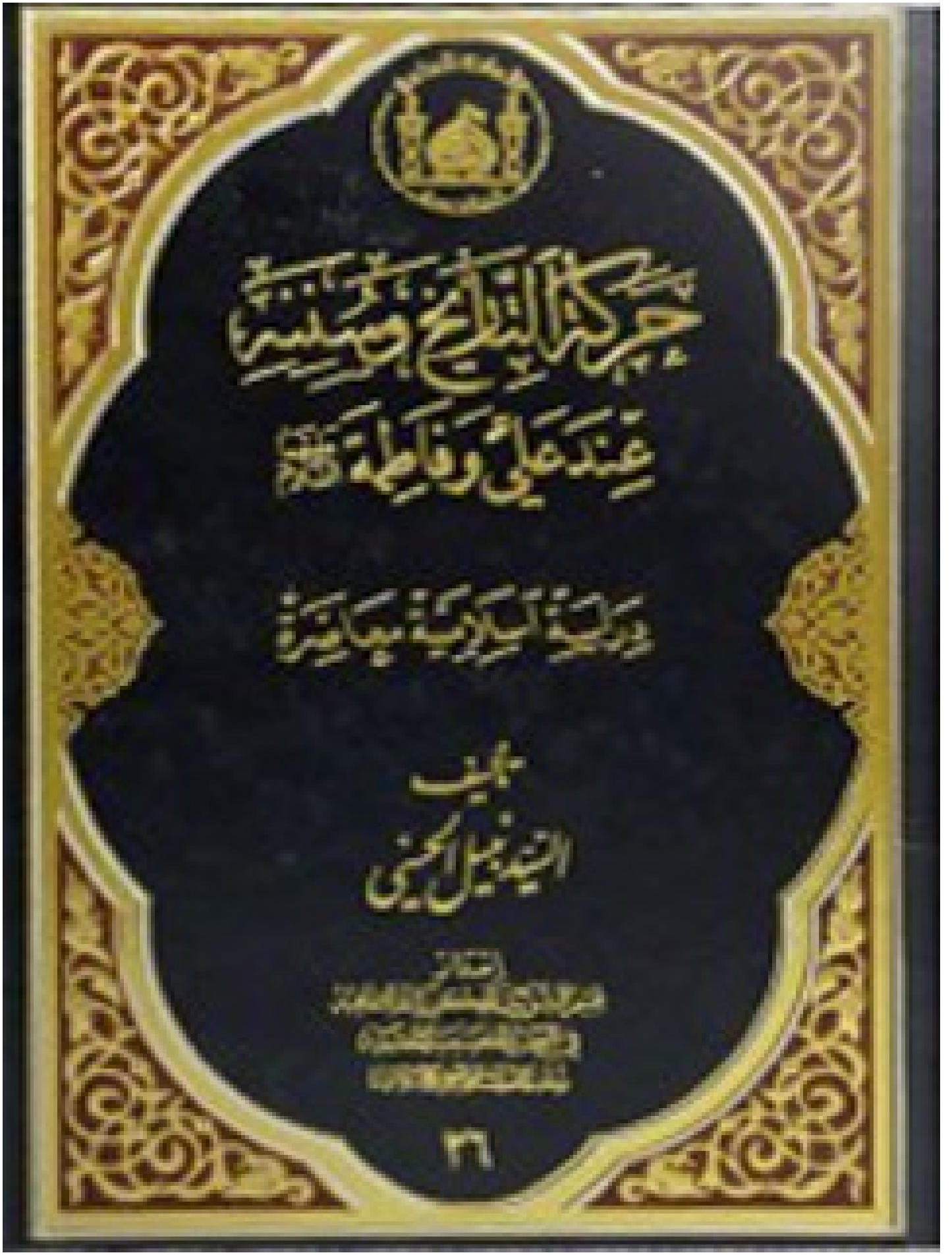
حركة التاريخ الإسلامي
عند علي زلفى
دكتورة
بقلم
السيد نفيل الحسني
٢٦

بسم الله الرحمن الرحیم

حركه التاريخ وسننه عند علي وفاطمه عليهما السلام

كاتب:

نبيل قدورى الحسنى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

حرکه التاریخ وسننه عند علی وفاطمه علیهما السلام 9

اشارة 9

اشارة 9

الإهداء 15

مقدمة الکتاب 17

الفصل الأول: حرکة التاریخ عند العرب قبل الإسلام 19

اشارة 19

المبحث الأول: معنی التاریخ والخبر 21

المسألة الأولی: المعنی اللغوی للتاریخ 21

المسألة الثانیة: معنی الخبر ومتی استعمل؟ 22

المبحث الثانی: علوم التاریخ وموضوعه 24

المسألة الأولی: علوم التاریخ 24

اشارة 24

المفهوم الأول 24

المفهوم الثانی: التاریخ العلمی 25

المفهوم الثالث: فلسفة التاریخ 26

المسألة الثانیة: موضوع التاریخ «التاریخ هو الماضی الحاضر» 26

المسألة الثالثة: علم التاریخ عند العرب 28

الفصل الثانی: دور القرآن فی حرکة التاریخ وسننه 31

اشارة 31

المبحث الأول: نظرة القرآن إلی الماضی 33

المبحث الثانی: عالمیة التاریخ فی القرآن الکریم 35

المبحث الثالث: نظرة القرآن للسنن التاريخية 40
المسألة الأولى: حقيقة سريان السنن التاريخية فى الأمم 40
المسألة الثانية: تحقق الغرض الإرشادى فى عرض السنن التاريخية 43
المسألة الثالثة: علّة تأخير العقوبة الجماعية 45
المسألة الرابعة: سنة التغيير النفسى وارتباطها بتغيير المجتمع 47
المسألة الخامسة: آثار سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله على الفرد والأمة 48
الفصل الثالث: حركة التاريخ وسننه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 51
اشارة 51
المبحث الأول: حركة التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 56
المبحث الثانى: السنن التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 58
الفصل الرابع: حركة التاريخ وسننه عند الإمام على عليه السلام 63
اشارة 63
المبحث الأول: حركة التاريخ عند الإمام على عليه السلام 65
المبحث الثانى: السنن التاريخية عند الإمام على عليه السلام 67
اشارة 67
المسألة الأولى: الإحاطة التامة بالسنن التاريخية 67
المسألة الثانية: تحديد العامل المشترک فى السنن التاريخية 70
المسألة الثالثة: تشخيص نتائج السنن 71
المسألة الرابعة: بيان الدور الإرشادى فى السنن التاريخية 76
اشارة 76
المحور الأول: المحور الإرشادى العام 76
المحور الثانى: المحور الإرشادى الخاص 79
الفصل الخامس: حركة التاريخ وسننه عند فاطمة الزهراء عليها السلام وأثر ذلک على الوعى التاريخى وتدوينه 81
اشارة 81
المبحث الأول: حركة التاريخ عند فاطمة الزهراء عليها السلام 84

المسألة الأولى: تشخيصها عليها السلام لبدء حركة التاريخ ـــــ 84
المسألة الثانية: تحديد حركة تاريخ النبوة ـــــ 87
المسألة الثالثة: وقائع الحركة التاريخية الأممية ـــــ 89
المسألة الرابعة: حركة تاريخ العرب قبل الإسلام فى نظر سيدة النساء عليها السلام ـــــ 92
المسألة الخامسة: بيان إنجازات النبوة فى حركتها التاريخية ـــــ 96
اشارة ـــــ 96
المحور الأول ـــــ 96
المحور الثانى ـــــ 97
المحور الثالث ـــــ 98
المسألة السادسة: حركة تاريخ الصحابة وأهل البيت عليهم السلام فى حياة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ـــــ 99
اشارة ـــــ 99
أولاً: دلالة تحديد الحركة التاريخية لكلا المسارين ـــــ 99
ثانيا: تباين المسارين فى الحركة التاريخية ـــــ 100
المسألة السابعة: الحركة التاريخية للمسلمين بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ـــــ 106
المسألة الثامنة: الوقائع التاريخية التى كانت مقدمات للسنن الأممية ـــــ 108
اشارة ـــــ 108
الواقعة التاريخية الأولى: «حسكة النفاق، أو حسيكة النفاق» ـــــ 109
الواقعة التاريخية الثانية: «سمل جلباب الدين» ـــــ 110
الواقعة التاريخية الثالثة: «نطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين» ـــــ 112
المبحث الثانى: السنن التاريخية عند فاطمة الزهراء عليها السلام ـــــ 116
اشارة ـــــ 116
المسألة الأولى: سنة الوقوع فى الفتنة بين المقدمات والنتائج ـــــ 116
المسألة الثانية: سنة تضاعف النتائج ـــــ 118
المسألة الثالثة: سنة تعجيل العذاب ـــــ 122
المسألة الرابعة: سنة انقلاب الأمم بعد أنبيائها ـــــ 123

المسألة الخامسة: سنة ظلم آل الأنبياء عليهم السلام وآثارها على الأمة 127

المسألة السادسة: سنة رين القلوب بين الأسباب والنتائج 133

المسألة السابعة: سنة الاستقامة في السلوك 135

المسألة الثامنة: سنة ترك التمسك بأحكام الله } بين المقدمات والنتائج 138

نتيجة البحث 140

تعريف مركز 143

حرکه التاریخ وسننه عند علی وفاطمه علیهما السلام

اشارة

رقم الإیداع فی دار الکتب والوثائق ـــ وزارة الثقافة 1082

لسنة 2009 م

الحسنی، نبیل، 1965 - م.

حرکة التاریخ وسننه عند علی وفاطمة علیهما السلام / تألیف نبیل الحسنی. – کربلاء: العتبة الحسینیة المقدسة، 1430ق. = 2009م.

ص 160. - (قسم الشؤون الفکریة والثقافیة فی العتبة الحسینیة المقدسة؛ 36).

المصادر : ص. 151 - 155؛ وکذلک فی الحاشیة.

1. التاریخ (کلام) وعلی بن أبی طالب (ع)، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40 ق. - دراسة وتحقیق. 2.التاریخ (کلام) وفاطمة الزهراء (س)، 8؟ قبل الهجرة - 11 ق. - دراسة وتحقیق. 3 . التاریخ (کلام) - من ناحیة القرآنیة . 4 . فاطمة الزهراء (س)، 8 قبل الهجرة - 11ق. - خطب - نقد وتفسیر. ألف. عنوان.

5ح 2ت / 09 / 38 BP

تمت الفهرسة فی مکتبة العتبة الحسینیة المقدسة قبل النشر

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحیم

ص: 3

حركة التاريخ وسننه

عند على وفاطمة عليهما السلام

تأليف

السيد نبيل الحسنى

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

شعبة الدراسات و البحوث الاسلامية

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1430هـ ـ 2009م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(1) الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ (3) مَـلِكِ يَوْمِ الـدِّينِ (4) إِيَّاکَ نَعْبُدُ وإِيَّاکَ نَسْتَعِينُ (5) اهدِنَـــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (7)

الإهداء

إلى روح النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقلبه ومهجته فاطمة عليها السلام.

إلى بضعته ونور عينه.

إلى من أزالت البُهم عن سنن الأولين.

وكشفت عن حركة تاريخ الآخرين.

إلى من شخّصت المضلّين ودلّت على الغاوين وأشارت إلى المبطلين.

إلى من أوضحت الطريق للسالكين وأنارت السبيل للقاصدين.

إلى من كافحت وجاهدت ودافعت عن شريعة سيد المرسلين.

فمضت شهيدة لرب العالمين.

أهدى كتابى هذا...

مقدمة الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها وتفاوت عن الإدراک أبدها»(1).

والصلاة والسلام على خير الأنام وكاشف الظلام وعلى آله الهداة إلى الإسلام وسلم تسليماً كثيرا.

وبعد:

فإن من عوامل رقيّ الأمة ودوام نهضتها ونشر حضارتها هو الإحاطة بحركة تاريخها والتسلط على كوامن أخبارها والتأمل بحوادث أسلافها والتوقف عند أفعالها وفهم أحوالها وإدراک معانى أقوالها ودراسة سلوكياتها.

كما أن بناء الأمة لا يقوم إلا بمنهاج الاعتبار من سنن تاريخها وتجنب الوقوع فى فخاخ فتنها والاقتداء بأخيارها وتشخيص فجارها ونبذ سلوک أشرارها.

عند ذلک سيكتب لها البقاء وسيعم على أجيالها الرخاء ويقيهم كيد الأعداء؛ بل إن ذلک سيجعل للحضارة دلالة على التحضر وطريقاً إلى التمدن.

1- هذا ما ابتدأت به بضعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خطبتها الاحتجاجية التى ألقتها فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مجمع من المهاجرين والأنصار.

وما ينال ذلک إلا بالسفر إلى معين المعرفة، ومنهل العلوم المختلفة، ومورد الظمآن لمعرفة مكامن الحكمة والتجلبب بجلباب العزة، وهما القرآن والعترة.

فإليهما شددنا الرحال وفى باحة عزهما ألقينا عن ظهورنا أثقال الجهل وفككنا أزرار مدارک الفهم صامتين مستمعين متأملين ومفكرين وللمزيد من فضلهم ملتمسين ((وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ))(1)، فما خاب ظننا ولا أخطأنا فى وجهتنا بل قادنا اليقين وأخذ بحجزتنا العقل والقلب والدين؛ فمن شأن الكريم الإعادة ومن شيمة الجواد البذل والزيادة.

فمنّوا علينا بهذه المباحث، ولاسيما بضعة الهادى الأمين وسيدة نساء العالمين فاطمة وحسبى بها كرماً وهى أم رحمة الله للعالمين.

ناهيک عن جود ابن عمها وباب مدينة علم أبيها على أمير المؤمنين عليه السلام فقد أغرقنا بفضله ومنّ علينا بلطفه كما منّ سليمان على شيعته إذ قال له ربه:

((هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (2).

فمن القرآن والنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كانت بداية بحثنا وعند على وفاطمة كان مستقرنا ومستودعنا لنضع بين يدى القارئ الكريم هذا الكتاب.

السيد نبيل قدورى حسن الحسنى

يوم عيد الأضحى لسنة 1429هـ

9 / 12 / 2008م

1- سورة يوسف، الآية: 65.

2- سورة ص، الآية: 39.

الفصل الأول: حركة التاريخ عند العرب قبل الإسلام

اشارة

المبحث الأول: معنى التاريخ والخبر

المسألة الأولى: المعنى اللغوى للتاريخ

وردت لفظة (التاريخ) فى كتب اللغة بمعنى: الوقت.

قال ابن دريد: «ورَّخت الكتاب وأرخته، ومتى أرِّخ كتابك، ووُرِّخ أى متى كتب»(1).

وقال ابن منظور:

«التاريخ والتوريخ: تعريف الوقت، أرَّخ الكتاب ليوم كذا: وقّته»(2).

وقال الجواليقى:

«إنّ اللفظة ليست عربية محضة وإنّ المسلمين أخذوها من أهل الكتاب»(3).

وقيل: «إنها عربية. وقيل: هى أكدية وبابلية ووردت بصيغة (أرخ) (Arah) (أرخا) (Arha) أرخو (Arhu) ورخو (Warhu) وتعنى (القمر) (الهلال) (الشهر) (أول الشهر)»(4).

1- جمهرة اللغة لابن دريد: ج 2، ص 266.

2- لسان العرب لابن منظور: مادة أرخ.

3- المعرب: باب التاء، ص 137.

4- دراسة مصادر السيرة النبوية لسامى البدرى: ص 21.

المسألة الثانية: معنى الخبر ومتى استعمل؟

قالوا فى اللغة: «الخبر: محركة: النبأ، هكذا فى المحكم. وفى التهذيب: الخبر ما أتاك من نبإ عمن تستخبر، وظاهره بل صريحه انهما مترادفان.

وقالوا: «الخبر عرفاً ولغة ما ينقل عن الآخرين، وزاد فيه أهل العربية: واحتمل الصدق والكذب لذاته»(1). وقد استعمله أهل علم الحديث بمعنى: «الحديث، والحديث: ما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم. والخبر: ما عن غيره وقال جماعة من أهل الاصطلاح: الخبر أعم، والأثر هو الذى يعبر به عن غير الحديث»(2).

وقالوا: «إنّ كلمة (خبر) التى استعملها العرب فى صدر الإسلام لمعنى التاريخ لها فى اللغات السامية قصة طويلة، منها معنى: الربط والتقييد؛ وفيها من خلال كلمة خبر، معنى: البحث والفحص، ومعنى الأخبار أيضا. وقد تأخرت كلمة تأريخ حتى ظهرت وفشت على الأقلام الإسلامية؛ ولئن اضطربت تفاسير اللغويين لأصل هذه الكلمة وشكوا فى عروبتها حتى أعطوها أصلا فارسيا: (ماه روز) قالوا إنها حرفت عنه، والأرجح أن جذورها (ورخ) هو جذر سامى ولكنه مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية، وليس عن كلمة «يرج» أو «ياريح» العبرية، أو السريانية، كما وردت فى الموسوعة الإسلامية، ومعناها الأول هناك هو القمر أو الشهر»(3).

«وإذا كانت كلمة تاريخ، تحمل فى العربية منذ زمن بعيد خمسة من المعانى على الأقل هى:

1- تاج العروس، الزبيدى: ج6، ص325.

2- المصدر السابق.

3- التاريخ العربى والمؤرخون، شاكر مصطفى: ج1، ص49 - 50.

1. سير الزمن والأحداث أى التطور التاريخى، تقابل كلمة (The History of...) وتعنى ما يفهم من كلمة التاريخ الإسلامى أو تاريخ إيطاليا.

2. تاريخ الرجال أو ما يقابل (The Biography).

3. عملية التدوين التاريخى، أو التأريخ ووصف التطور وتحليله، وهى التى تقابل كلمة (Historiography).

4. علم التاريخ والمعرفة به، وكتب التاريخ وما فيها، وهو ما يقابل كلمة (The History) المفردة(1).

5 ـــ تحديد زمن الواقعة أو الحادث باليوم والشهر والسنة (The date).

إذا كان ذلك، فقد مرت هذه الكلمة بأطوار عدة، قبل أن تستقى فيها تلك المعانى، وتحملها فى الإسلام. ولذا فقد وضعوا ـــ أى المختصون ـــ للتاريخ تعاريف مختلفة ومتعددة، ونظروا له من زوايا مختلفة أيضا، فهناك التصورات العامة للتاريخ، وهناك التصورات الدينية (كالزرادشتية، واليهودية، والإسلام، والمسيحية)، وهناك المعالجات المثالية للتاريخ والتى نشأت فى القرن التاسع عشر وما بعده.. إلى غير ذلك.

لكننا نستخلص من جميع المعالجات والدراسات التى تناولت (التاريخ) بأننا نستطيع أن نضع للتاريخ ثلاثة تعاريف(2) وكل واحد منها يمثل جزءا أو علما من علوم التاريخ، وبين هذه العلوم تقوم علاقات وثيقة»(3).

1- قال الدورى: يمكن أن نضيف معنى سادسا استمر فترة حسنة خلال التاريخ الإسلامى، وكانت كلمة تاريخ تستعمل فيها بمعنى تراث القوم، وتمثيل الشمائل الأساسية فيهم وكانوا يقولون: فلان تاريخ قومه. (نشأة علم التاريخ، لعبد العزيز الدورى: ص13.

2- وردت هكذا فى المصدر والصحيح تعريفات.

3- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 49 ـــ 51.

المبحث الثانی: علوم التاریخ وموضوعه

المسألة الأولی: علوم التاریخ

اشارة

یمکن لنا الإحاطة بعلوم التاریخ من خلال التعرف علی أقوال المختصین فی وضعهم بعض التعریفات المنبثقة من مفاهیم ثلاثة للتاریخ، وقد أشارت إحدی الدراسات التاریخیة إلی تعریف التاریخ حسب هذه المفاهیم بقولها:

المفهوم الأول

«التاریخ هو العلم بالأحداث، والوقائع، والأوضاع، وأحوال البشر الکائنة فی زمن الماضی، هذه الوقائع والأحداث والأوضاع التی هی فی الواقع أحداث یومیة صارت جزءا من التاریخ لمرور الزمن علیها.

التاریخ بهذا المفهوم، هو العلم بالأحداث، والأوضاع الماضیة، وأحوال الماضی، والکتابة والتألیف فی مثل هذا النوع من التاریخ مشهور بین جمیع الشعوب والأمم»(1).

وعلی ضوء هذا المفهوم یجمع التاریخ الاختصاصات الآتیة:

1 . الحولیات، وهی تاریخ الحوادث سنة بسنة وسردها کتاریخ الطبری.

2 . تاریخ الطبقات تبعاً للمذهب أو الاتجاه مثل طبقات الشافعیة أو طبقات الحنابلة... .

3 . تاریخ الحکماء ویشمل تاریخ العلماء والأدباء والفلاسفة والأطباء، والمفسرین... .

1- النظریة القرآنیة لتفسیر حرکة التاریخ لحسن سلمان: ص 21.

4 . تاريخ المصنفات التى تؤرخ للتراث ابتداءً من المؤلفات نفسها، من مثل كتاب الفهرست لابن النديم.

5 . تاريخ العلوم: وفيه يتم تصنيف العلوم وذكر أهم موضوعات العلم ومصنفاته، مثل كتاب (مفاتيح العلوم للسكاكى).

6 . تاريخ المصطلحات العلمية التى ترصد أهم الألفاظ والمصطلحات المستعملة فى التراث القديم كله بجميع علومه مثل (التعريفات للجرجانى).

7 . تاريخ الحضارات والأمم: ويتم فيه رصد أعلام كل أمة وأسماء مؤلفيها وطبائعها وأمزجتها وإبداعاتها وآثارها وإسهاماتها فى التاريخ البشرى من مثل كتاب (طبقات الأمم لصاعد الأندلسى) (1).

المفهوم الثانى: التاريخ العلمى

«وهو العلم بالقواعد والقوانين والسنن المهيمنة على الحياة الماضية، وهذا يأتى من دراسة الأحداث والوقائع الماضية وتحليلها، وتشكل مسائل (التاريخ النقلى) المواد الأولية لهذا العلم.

هذا الجانب من التاريخ العلمى وإن كانت مواده الأولية ترتبط بالماضى، لكنه يستهدف اكتشاف القواعد والقوانين التى يمكن تعميمها على الحاضر والمستقبل.

وهذا الهدف يجعل التاريخ مقيدا جدا، ويجعل منه مصدرا من مصادر المعرفة الإنسانية»(2).

1- النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 22 - 25.

2- النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ: ص 30.

المفهوم الثالث: فلسفة التاريخ

«إن التاريخ العلمى يرتبط بنوع آخر من التعاريف التى وضعت فى مجال تفسير الحركة التاريخية، وكثيرا ما يحدث تداخل بين الاثنين.

ذلک هو ما يطلق عليه (فلسفة التاريخ).

إن «الفيلسوف» لا«المؤرخ» هو الذى «يجعل فلسفة التاريخ» موضوع تحدياته.

ومع ذلک، فالفيلسوف يلتزم ويعتمد على ما يقوله، وما يقدمه «المؤرخ» عن التاريخ كشىء ملموس كما يلتزم به كرواية أو حدث اجتماعى»(1).

المسألة الثانية: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضى الحاضر»

المسألة الثانية: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضى الحاضر»(2)

يدور مدار التاريخ حول الحادثة التى وقعت فى الماضى، ولأن هذه الحادثة موضع اهتمام الإنسان سواء أكان هدفه منها الرواية والنقل لأبناء زمانه والأجيال اللاحقة أم الاعتبار والتحليل والتأسيس لحياة أفضل تتجنب عوامل السقوط والانهيار.

ولذا، قالوا: «إنّ التاريخ هو الماضى الحاضر، أى: أن مجموع عوارض الماضى حاضرة بأخبارها (آثارها) وفحص تلک الأخبار عملية تنجز دائما فى الحاضر، والتاريخ حاضر بمعنيين:

أولاً: بشواهده، وثانياً: فى ذهن المؤرخ»(3).

1- النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 35.

2- مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص 38.

3- المصدر السابق.

أى: من خلال الشاهـدة التاريخيـة تكوّن فى ذهن المؤرخ تاريخ متجدد، ولذا فهو حاضـر معه فأصـبح يدور بين مقارنة الماضـى بالحاضـر والحاضر بالماضى.

من هنا:

كانت معرفة الماضـى نسبية وعملية، فهى نسبية لأنها تسـتجيب لمتطلبات الوضع القائم؛ وهى عملية لأنها تجيب عن أسئلة حالية. ومنهما أى من المعرفة النسبية والعملية كان موضوع التاريخ هو: «التاريخ هو الماضى الحاضر».

فى حين ذهب البعض إلى ان مقولة «التاريخ هو الماضـى الحاضـر». تعنى: «أن الماضـى التاريخى هو عالم ذهنى، يستنبط فى كل لحظة من الآثار القائمة.

أو بعبارة أخرى: موضوع التاريـخ هو الماضـى الذى هو حاضـر، المقصود هنا ليس تمام الماضـى، وإنما الماضـى التاريخى، أو ما سـميناه بالتاريخ المحفوظ؛ فهل يمكن أن يكون غير حاضر فى الذهن، فى الكلام، فى الأشياء... الخ»(1).

ينتج عن هذا التحليل: «أن الكلام على أحوال الماضـى هو نوع من المشاهدة، إذ لـم يبق من الماضى إلا الأخبار الدالة عليه والمعاصرة لنا؛ إن التاريـخ هو مجال الاسـتنباط، إذ المؤرخ يحمل فى ذهنه كل الأخبار عن الماضـى المحفوظ فيسـتطيع أن يقارن بينها ويسـتخلص منها قوانين وعبرا، خلاصة بديهية قال بها جلّ المؤرخين القدامى الذين جعلوا من التاريخ مدرسة أخلاق وسياسة»(2).

إذن: موضوع التاريـخ هو اسـتخلاص القوانين والعبر من أحـداث وآثـار الماضـى، وهو بهـذا يكون، ـــ أى التاريـخ ـــ مدرسـة الأخلاـق والسياسة.

1- مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص 39.

2- المصدر السابق.

المسألة الثالثة: علم التاريخ عند العرب

فی خضم هـذه التعريفات حول التاريـخ، من حيث الاصـطلاح والمعنى العام، والخاص، والمفهوم، والحركة التاريخية، ما هو علم التاريخ عند العرب؟.

«يكوّن علم التاريخ عند العرب جزءاً من التطور الثقافی العام، وصلته بعلم الحديث وبالأدب بصورة خاصة وثيقة، وتستحق اهتماما خاصا، ثم إن ظهور الإسـلام، وتكوين الإمبراطوريـة، والتصـادم بين الآـراء والتيارات الحضاريـة، وتطور الأمـة وخبراتها، هـذه كلّها حيويـة لفهم التطورات الأولی للكتابة التاريخية.

ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر فی صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافی يوجب الالتفات إلی تراث ما قبل الإسلام»(1).

«وقـد بـدأت كلمة التاريخ مسـيرتها أولا بمعنى التقويم والتوقيت فی صدر الإسـلام الأول، وبعد أن اسـتعملت الكلمة فترة من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن.

وكان يقوم مقامها فی معنى هـذه العمليـة التاريخيـة: كلمـة خبر، وأخبار، وإخبارى، ثم بـدأت كلمـة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة خبر وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخی، وعلى حفظ الأخبار بشـكل متسـلسل متصل الزمن والموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور فی الخبر والعملية الإخبارية.

وكان ذلک على ما يبـدو منـذ أواسط القرن الثانی للهجرة، فما أن أطل القرن الثالث حتی صارت كلمـة التاريـخ تطلق على العلم بأحـداث التاريخ وأخباره، وبأخبار الرجال، وعلى الكتب التی تحوی ذلک، وحلت نهائيا محل كلمة

1- نشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدورى: ص 13.

الخبر والإخبارى اللتين انحطت قيمتهما العلمية قبل أن تختفيا من الاستعمال فى القرن الرابع(1).

«ولعله من الهامّ أن نلاحظ أن أقدم المؤلفات التى حملت اسم التاريخ كانت كتب أحداث لا تراجم بخلاف الرأى الذى ذكره روزنتال فى هذا الصدد.

فقد كتب عوانة بن الحكم الإخبارى الكوفى المتوفى سنة 147/765 أو 758 كتابا عنوانه: كتاب التاريخ، يتناول أحداث التاريخ الإسلامى فى القرن الأول للهجرة، وهو أول كتاب نعرفه يحمل اسم هذا العلم فى الإسلام.

ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة 204/819 أيضا كتاب التاريخ وكتابا بعنوان أخبار الخلفاء، وكتب فى الوقت نفسه الهيثم بن عدى المتوفى سنة 206/821 كتاب التاريخ على السنين وكتاب تاريخ الأشراف الكبير، واستقرت من بعد ذلك التسمية وانتشرت واحتلت عناوين العشرات من الكتب فى القرن الثالث للهجرة، ويبدو أن كتب التراجم حملت بدورها عنوان التاريخ فى تلك الفترة مع أن بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات.

وبالرغم من أن هذه التسمية الأخيرة استمرت وانتشرت إلا أن تسمية البخارى (محمد بن إسماعيل) المتوفى سنة 256 لكتابه عن رجال الحديث باسم (التاريخ) تمثل مزجا نهائيا ما بين علم التراجم والأحداث فى علم واحد»(2).

1- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 51، 52.

2- المصدر السابق.

الفصل الثانی: دور القرآن فی حرکة التاریخ وسننه

اشارة

بعـد أن أخـذت حركـة التاريـخ عند العرب شـكلها الذى مرّ بيانه ـــ والذى هو عبارة عن ذكر أحوال الماضـين فى الأندية المكية بأسـلوب قصصـى عرف باسم (الأيام)؛ يضاف إليه اهتمامهم بالأنساب وتفاخرهم بها، مع ما أفضـته ثقافـة أهل الجنوب والشـمال على هـذه الحركة للتاريخ جاء الإسـلام ممثلا بالقرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ورد عنهما من مفاهيم حديثة وخاصة بالتاريخ وحركته ودوره وعلاقته بالإنسان والطبيعة والعقيدة، فأعطى منهجا جديدا لهذا العلم، ودفعا حيويا وفعالاً للحركة التاريخية عند العرب ولاسيما أهل مكة.

ويمكن فهم دور القرآن فى حركة التاريخ وتطويره من خلال المسائل الآتية:

المبحث الأول: نظرة القرآن إلى الماضى

لقـد جاء القرآن «بنظرة جديّـة إلى الماضـى، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضـية محدودة، وعاد إلى بدء الخليقة. وأكد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة؛ للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التى تنطوى عليها»(1).

1- نشأة علم التاريخ للدورى: ص 17.

«وقـد تحدث القرآن الكريم كثيرا عن أساطير الأولين ولا يعنى ذلک الأسـطورة الخرافية ولكن ما هو مسـطور مكتوب لدى الناس، أى ليس بجديـد ولكنه مؤرخ معروف من قبـل، وهـذا يعنى أن الجـاهليين قـد أدركوا ما فى القرآن من صـلة مع الفكر الـدينى السابق وما يملأ الجو القرآنى بوضوح منه وأنه يروى قصصا وأمورا تاريخية لها كتبها وذكرها المسطور.

كمـا أن القرآن اسـتطاع أن ينتزع العرب من الإطـار القبلى، ومن الجو الوثنى ولهـذا اسـتخف بالأنسـاب وبقصـص الأيام وبمثل الجاهلية وبدلهم منها جوا ثقافيا آخر ربطهم بسلسـلة التاريخ الوجدانى للبشـرية، أى أعطاهم بعدا زمنيا جديدا قوامه التاريخ الماضى كله، من خلال سلسلة الأنبياء عليهم السلام المتمادية منذ مبدأ الخلق»(1).

ولذا:

نجـد القرآن الكريم قـد دعا إلى التفكير فى أحـداث التاريخ، «من خلال اسـتعمال المشاهدة، وتحكيم العقل معا، لتكوين العقيدة، فدعم المدركات العقلية بالشواهد الحسّية، ودعا إلى استكشاف أسرار الخليقة، ومعرفة سنن الاجتماع الإنسانى فى التطور، وتدبر أحداث الكون.

فالقرآن يعرض صور الحياة، وأحـداثها التى جرت على الأمم السابقة ويسـتخلص منها العبر والحكم ويحذّر الناس أن يقعوا فيما وقعت فيه تلک الأمم، من طغيان مالى، أو استبداد سياسى، وتكذيب وجحود، وعصيان وفسوق، فحاق بهم العذاب»(2).

1- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 58.

2- النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 53 و 54.

المبحث الثانی: عالمیة التاریخ فی القرآن الکریم

من المفاهیم التی جاء بها القرآن الکریم والمتعلقة بنظرته للتاریخ هو مفهوم العالمیة، وهذا یعنی أن القرآن لم یجعل العرب کأمة محصورة ضمن حدودها الجغرافیة، والتی تکوّن لها ماضیها المحصور فی قصص الأیام وبیوتها القبلیة، بل نقلهم إلی حضارات متعددة وأطلعهم علی ثقافات متنوعة.

ثم إنه لم یکتف بذلک بل أراد منهم أن یتصدوا لریادة المناصب المتقدمة فی صیاغة حضارات الأمم السابقة وتطویرها ودفعها، وهو ما عبر عنه القرآن الکریم بموقع الشهودیة والوسیطة التی رجع إلیها فی التزود بعوامل الرقی والتقدم الإنسانی والمجتمعاتی.

أ. قال تعالی:

((وَکَذَلِکَ جَعَلْنَاکُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَکُونُوا شُهَدَاءَ عَلَی النَّاسِ وَیَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیدًا))(1).

هذه العالمیة للتاریخ التی جاء بها القرآن انعکست علی نمط کثیر من المسلمین وسلوکیاتهم فی اکتسابهم للعلوم وحرکتهم العالمیة فیما بعد.

لکن الحافز والدافع لریادة هذا الموقع العالمی کان من خلال نظرة القرآن لعالمیة التاریخ وربط أمة الإسلام بجمیع الحضارات السابقة.

وقد تمثلت هذه النظرة القرآنیة إلی عالمیة التاریخ من خلال توالی النبوّات من آدم علیه السلام إلی الحبیب المصطفی محمد صلی الله علیه وآله وسلم، وعرضه لسیر هذه

1- سورة البقرة، الآیة: 143.

النبوّات من خلال منهجين أساسين ومؤثرين على النفس الإنسانية وهما؛ القصص والأمثال.

فأما القصص؛ (فإن العروض القرآنية للتاريخ وهى تحدثنا عن مواقف الأفراد والجماعات إزاء عدد من الأحداث والقيم التاريخية والتى قد يمتد بعضها إلى خلق آدم.

ويصل بعضها الآخر إلى عدد من التجارب التى مارسها أفراد عاديون سلبا أو إيجابا، أو نفذها قادة وملوك وزعماء كبار يتضح ذلك بالوقائع الخاصة بفرعون وقارون وذى القرنين وأصحاب الفيل مرورا بسلسلة الأنبياء الطويلة التى بعثت ـــ كل ذلك ـــ لكى تجدد الحوار الموعود، منذ عهد آدم بين السماء والأرض، وتسعى بأقوامها إلى صياغة حركة التاريخ بما ينسجم ومركز الإنسان فى الكون.

إن القرآن يبين لنا فى حشد آخر من الآيات الهدف من إيراد القصص، والعروض التاريخية، وهو الهدف نفسه الذى يمكن أن يتمخض عن أى مطالعة جدّية ملتزمة لحركة التاريخ)(1).

ب . وعلى الرغم من أن الغرض ـــ من القصص ـــ هو الموعظة والاعتبار ((أَفَلَمْ يَرَوْا)) ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ)).

إلا أن الرغبة فى معرفة تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم من ذلک القصص فتحت بابا من أبواب المعرفة الدينية دخل منه التاريخ، ودخل كرديف دينى شرعى لعمليات التفسير القرآنى، وإذا كان الكثير من الإسرائيليات قد دخلت عن هذا الطريق إلى التاريخ الإسلامى، كما دخله الكثير

1- النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 73.

من الأخبار القبلية والأجنبية، فأهم من ذلک أن القرآن الكريم منح بذلک نظرة جديدة إلى الماضى، كرّسته كأساس فكرى للعقيدة)(1).

(إن قصص الأنبياء عليهم السلام من أهم العوامل النفسية التى لجأ إليها القرآن، فى الجدال مع مخالفيه، والتبشير برضوان الله، والتحذير من معصيته، وفى شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وأهدافها، وفى تثبيت قلب من اتبع النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

كما أن الغاية من قصص الأنبياء عليهم السلام أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن المؤمنين برسل الله كلهم أمة واحدة والله الواحد رب الجميع)(2).

بمعنى: إنّ القرآن نقل التاريخ من محله المحصور ضمن رقعة جغرافية محدودة إلى حضارات نشأت على مواقع متعددة وفى أزمنة مختلفة، بل كانت هذه النظرة القرآنية أوسع وأعمق من ذلک حينما نقل الإنسان خارج حدود الزمان والمكان فربطه بالكون وعواقب الأفعال وتحكم السنن.

((وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا))(3).

وهو ما دلت عليه الكثير من الآيات القرآنية. قال تعالى:

((إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ))(4).

1- التاريخ والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 60.
2- النظرية القرآنية لحسن سلمان: ص74، نقلا عن: مع الأنبياء فى القرآن ـــ عفيف عبد الفتاح: ص24.
3- سورة الأحزاب، الآية: 62 و سورة الفتح، الآية: 23.
4- سورة آل عمران، الآية: 62.

((تِلْکَ الْقُرَی نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبَائِهَا))(1).

((فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ))(2).

((ذَلِکَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَی نَقُصُّهُ عَلَیْکَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِیدٌ)) (3).

((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ هَذَا الْقُرْآنَ)) (4).

((لَقَدْ کَانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِی الْأَلْبَابِ))(5).

((وَکُلًّا نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَکَ وَجَاءَکَ فِی هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِکْرَی لِلْمُؤْمِنِینَ))(6).

أما منهج الأمثال الذی جاء به القرآن الکریم للتعبیر عن نظرته العالمیة للتاریخ فقد جعل منها مادة خصبة لنمو الحرکة التاریخیة وشمولیتها العالمیة منذ آدم علیه السلام إلی الخاتم صلی الله علیه وآله وسلم من جانب، ومن جانب آخر دفع الفکر الإنسانی إلی أثر هذه الحرکة العالمیة للتاریخ فی رسم المستقبل القریب والبعید للأمة الإنسانیة ولاسیما المسلمة بصفتها ((خَیْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ))(7).

1- سورة الأعراف، الآیة: 101.

2- سورة الأعراف، الآیة: 176.

3- سورة هود، الآیة: 100.

4- سورة یوسف، الآیة: 3.

5- سورة یوسف، الآیة: 111.

6- سورة هود، الآیة: 120.

7- سورة آل عمران، الآیة: 110.

كما أن هـذا المنهـج القرآنى أعطى بنية جديدة لحركة الإنسان فى الحياة الدنيوية والأخروية، من خلال تحريك البنيوية العقلية ودفعها نحو التفاعل مع القنوات المعرفية، أى ربط الإنسان بكل ما يدور من حوله كى يرسم حياة كريمة مفعمة بالخير والسلام.

يقول السيد العلامة الطباطبائى:

(تصـريف الأمثال ردها وتكرارها وتحويلها من بيان إلى بيان ومن أسـلوب إلى أسلوب ـــ غاية ذلک ـــ أن يوضح لهم سبيل الحق ويمهد لهم طريق الإيمان والشكر)(1).

قال تعالى:

((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً))(2).

بـل يظهر القرآن الكريم انحصار من لا يعتبر بهـذا النهـج القرآنى وهم الكفار، فيتحولون من المحور العالمى إلى المحور الفردى المتقوقع والمهمل من خلال تغليب الجهل على العقل وحجره وعزله عن التفكير فى هـذه المناهل المعرفيـة الممثلـة بالأدلـة والحجج التى ضـمها منهج القرآن عند إيراده للأمثال.

فيعطى صورة واضـحة الملامـح لمسـتقبل هؤلاء وترديهم وانحطاطهم حينما يتولـد عنـدهم النفور من هـذه الحضارة القرآنية وهذا النهج التعليمى لاكتساب العلوم.

1- تفسير الميزان لمحمد حسين الطباطبائى: ج 13، ص 202.

2- سورة الإسراء، الآية: 41.

المبحث الثالث: نظرة القرآن للسنن التاريخية

المسألة الأولى: حقيقة سريان السنن التاريخية فى الأمم

لا تختلف العلوم التطبيقية عن الإنسانية فى الوجود الحياتى، هذا الوجود الذى نشأ وتبلور فيه النهوض على السنن والقوانين الخاصة بتلك العلوم سواء أكانت رياضية، منطقية، مجردة عن الحس الوجدانى كونها مادة؛ أم العلوم التى اختلجت فى مكوناتها الوجودية فى الحس الوجدانى الإنسانى فاقترن بقاؤها ببقاء الإنسان.

والقرآن الكريم حينما يدعو العقل البشرى إلى النظر والتأمل والتفكير فى خلق السموات والأرض والآفاق وما تشابك فى قيامها من سنن وقوانين فيزيائية ورياضية وغيرها ـــ هو فى نفس الوقت ـــ يدعوه إلى النظر والتفكير فى نفسه وخلقه وما ارتبط بينه وبين العوالم السماوية والأرضية بسنن وقوانين كان المؤثر الأكبر فى تحريكها عمل الإنسان بشقيه الخير والشر.

بمعنى أن هذا العمل محكوم بسنن كونية قائمة فى الحياة لا تتعدى أحدا من البشر حالها حال السنن الفيزيائية والمنطقية الرياضية، وهو ما قدمه القرآن ضمن عنوان السنن التاريخية.

قال تعالى:

((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)) (1).

1- سورة آل عمران، الآية: 137.

وقال سبحانه:

((فَلَمْ يَکُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِکَ الْکَافِرُونَ)) (1).

وقال عز وجل:

((يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَکُمْ وَيَهْدِيَکُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْکُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَکِيمٌ)) (2).

وقال عز شأنه:

((سُنَّةَ اللَّهِ فِی الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَکَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا))(3).

وغيرها من الآيات التی أظهرت آثار السنن التاريخية فی مسيرة الحياة الإنسانية.

ولقد (تبلورت الفكرة القرآنية للسنن التاريخية فی عدد كثير من الآيات والمقاطع القرآنية بأشكال مختلفة وصور متعددة، وألسنة متباينة.

ففی بعض هذه الآيات أعطيت الفكرة بشكلها وصياغتها الكلية؛ فيأتی التعبير القرآنی حول الفكرة مجملا عاما، وفی بعض الآيات الأخرى أعطيت الفكرة القرآنية على مستوى التطبيق على المصاديق والنماذج، وفی بعضها الآخر وقع الحث على الاستقراء والفحص الاستقرائی والتتبع العلمی للشواهد التاريخية من أجل الوصول إلى القانون التاريخی)(4).

1- سورة غافر، الآية: 85.

2- سورة النساء، الآية: 26.

3- سورة الأحزاب، الآية: 38.

4- النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 87.

فكان من بين بنود هـذا القانون التاريخى فى القرآن هو عاقبـة سـلوك التجمعات البشـرية التى عبر عنها القرآن بـ(الأمـة) أو (الأمم) التى كانت قبل أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

والغرض فى هذا العرض القرآنى لعاقبة المجتمعات السابقة هو الغرض الإرشادى، بمعنى أن الأفعال الجماعية والصفات الغالبة على بعض المجتمعات كقتل الأنبياء عليهم السـلام وتكـذيبهم كما فى بنى إسـرائيل؛ واكتفاء الرجال بالرجال كما فى قوم لوط، والإعراض عن الـدعوة وعدم الاسـتجابة للنذير كما فى قوم نوح عليه السـلام؛ ونكران الخليفة والوصـى واتباع السامرى كما فى قوم موسـى عليه السلام وغيرها من الأفعال الجماعيـة التى سـلكتها الأمم السابقة كلها تعبر عن سـنن تاريخية جرت فى هذه الأمم فأظهرت للمسـلمين وغيرهم أن عاقبة هذه الأفعال الجماعية تكون جماعية الوقوع.

بمعنى أن العقاب سـيقع على الجميع دون اسـتثناء، وإن كان هناك تفاوت فى صدور الأفعال من بعض الناس؛ فالساكت عن الظلم وفاعله سواء، بل أبعد من ذلك الرضا بفعل الظالم اشتراك فى الظلم، كما دلت عليه مجموعة من الآيات. قال تعالى:

((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) (1).

((وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)) (2).

1- سورة الأنعام، الآية: 21.

2- سورة الحج، الآيات: 42 __ 44.

وقال عز وجل:

((وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ)) (1).

المسألة الثانية: تحقق الغرض الإرشادى فى عرض السنن التاريخية

وقد أظهر القرآن الكريم الغرض الإرشادى فى إيراد السنن التاريخية التى جرت فى الأمم السابقة فقال تعالى:

((وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا))(2).

وقال عزّ شأنه:

((مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا))(3).

وقال سبحانه:

((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)) (4).

فهنا: تظهر الآيـة الكريمة اشتراك الفرد مع الأمة فى الأجل الواحد، فى حين أن لكل فرد أجلاً خاصاً به، فما هو سـبب اشتراك جميع أفراد الأمة فى موت واحد ونهاية واحدة؟.

1- سورة الحج، الآية: 48.

2- سورة الكهف، الآية: 55.

3- سورة الأحزاب، الآية: 38.

4- سورة الأعراف، الآية: 34.

يجيب السيد محمد باقر الصدر قدس سرّه: (هناک دائما وراء الأجل المحدود المحتوم لکل إنسان بوصفه الفردی، هنالک أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعی لهؤلاء الأفراد، للأمة بوصفها مجتمعا ينشئ ما بين أفراده العلاقات والصلات القائمة علی أساس مجموعة من الأفکار والمبادئ المستندة بمجموعة من القوی والقابليات)(1).

بمعنی آخر: (هذا المجتمع الذی يعبر عنه القرآن بالأمة، له أجل، له موت، له حياة، له حرکة کما للفرد يتحرک فيکون حيا ثم يموت، کذلک الأمة تکون حية ثم تموت، وکما أن موت الفرد يخضع لقانون معين، کذلک الأمم أيضاً لها آجالها التی تخضع لقوانين معينة)(2).

وهذا الذی أراده القرآن من المسلمين بوصفه کتابهم الذی يرجعون إليه فی معرفة دينهم أن يلتفتوا إلی تلک القوانين التی خضعت لها الأمم السابقة ولم يکن لها أن تتفلت من سطوتها؛ فليس الفرد حينما يکون ضمن مجتمع معين أن يحيا أو يموت أو ينمو بمعزل عن الأمة التی ينتمی إليها.

إذ قد يظن الکثير بأنه بمنأی عن عواقب انحراف الأمم والجماعات التی يعيش معها وينتمی إليها بل: لعلنا نجد أن هذه الحالة قد أخذت مآخذها من الأمم المعاصرة، فی حين يعرض القرآن الکريم حتمية إجراء هذه السنن فی الأمم کافة؛ فقد يموت الإنسان قبل موت الأمة ألا أنه يفنی فی ماله وذريته فيکون حينها قد مات مع الأمة التی ينتمی إليها، ناهيک عن ما يحمله من الآثام التی شارک الأمة فيها.

1- سنن التاريخ فی القرآن لسيد محمد باقر الصدر: ص 57.

2- النظرية القرآنية لتفسير حرکة التاريخ لحسن سلمان: ص 90.

المسألة الثالثة: علّة تأخير العقوبة الجماعية

لكن القرآن الكريم فى الوقت الذى يتحدث عن تلك السنن التاريخية وما تؤول إليه عواقب الأعمال الفردية والجماعية، هو فى نفس الوقت يتحدث عن سنن أخرى هى تأخير العقوبة الجماعية لحكمة خاصة، منها الرحمة والمغفرة؛ ومنها (الإصلاح) وهو الغاية المنشودة فى عرض سيرة الأمم السابقة وما آلت إليه عواقب أفعالها. قال تعالى:

((وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا))(1).

وقال عز وجل:

((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا))(2).

(ففى هاتين الآيتين الكريمتين، تحدث القرآن الكريم، عن أنه لو كان الله يريد أن يؤاخذ الناس بظلمهم، وبما كسبوا، لما ترك على ساحة الناس من دابة، يعنى لأهلك الناس جميعا، وقد وقعت مشكلة فى كيفية تصوير هذا المفهوم القرآنى، حيث أن الناس ليسوا كلهم ظالمين عادة، ففيهم الأنبياء، وفيهم الأئمة، وفيهم

1- سورة الكهف، الآية: 58 و 59.

2- سورة فاطر، الآية: 45.

الأوصياء، هل يشمل الهلاک الأنبياء والأئمة العدول من المؤمنين؟ حتى أن بعض الناس استغل هاتين الآيتين لإنکار عصمة الأنبياء عليهم السلام.

والحقيقة أن هاتين الآيتين تتحدثان عن عقاب دنيوى لا عقاب أخروى، فالآية تتحدث هنا عن النتيجة الطبيعية لما يکسبه أفراد المجتمع على اختلاف هوياتهم وعلى اختلاف اتجاهاتهم، حينما وقع (التيه) على بنى إسرائيل إنما شمل موسيعليه السلام، شمل أطهر الناس وأزکاهم وأشجعهم فى مواجهة الظلمة والطواغيت، شمل موسى عليه السلام لأنه جزء من تلک الأمة.

هذا کله هو منطق سنن التاريخ، والعذاب حينما يأتى فى الدنيا على مجتمع وفق هذه السنن، لا يختص بخصوص الظالمين من أبناء ذلک المجتمع، ولهذا قال القرآن الکريم فى آية أخرى:

((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))(1).

بينما يقول فى موضع آخر:

((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))(2).

فالعقاب الأخروى دائما ينصب على العامل مباشرة، وأما العقاب الدنيوى فيکون أوسع من ذلک.

إذن هاتان الآيتان الکريمتان تتحدثان عن سنن التاريخ وما يمکن أن يحصل نتيجة کسب الأمة وسعيها وجهدها، لا عن العقاب بالمعنى الأخروى، والعذاب

1- سورة الأنفال، الآية: 25.

2- سورة الفاطر، الآية: 18.

بمعنى مقاييس يوم القيامة)(1). ويمضى القرآن الكريم فى عرضه للسنن التاريخية وعلاقتها بالإنسان والمجتمع فمنها:

المسألة الرابعة: سنة التغيير النفسى وارتباطها بتغيير المجتمع

من السنن التاريخية التى أظهرها القرآن الكريم هى سنة التغيير النفسى وعلاقتها بالمجتمع؛ هذه العلاقة التى يظهرها القرآن على هيئة قانون مؤثر فى إصلاح الأمم، بل يظهر مفهوما أعم من ذلك؛ وهو ارتباط الإصلاح المجتمعى بالإصلاح الفردى.

بمعنى: لا يمكن أن تنهض الأمة ما لم تبدأ بإصلاح أفرادها، أو من أراد أن تكون أمته التى ينتمى إليها وقومه الذين ينتسب إليهم أمة صالحة، فعلية أن يبدأ بمشروع التغيير الشخصى، أى أن يبدأ بتغيير نفسه أولا ثم أهل بيته ثم أقربائه وهكذا، وهو ما دل عليه قوله تعالى:

((لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) (2).

والعلة فى هذا الترابط، وهذه العلاقة هو أن: (المحتوى الداخلى النفسى والروحى للإنسان هو القاعدة، ـــ وإن ـــ الوضع الاجتماعى هو البناء العلوى، وأن هذا البناء العلوى لا يتغير إلا وفقا لتغير القاعدة.

إذن: هذه الآية تتحدث عن علاقة معينة بين القاعدة والبناء العلوى بين الوضع النفسى والروحى والفكرى للإنسان وبين الوضع الاجتماعى، بين داخل

1- السنن التاريخية فى القرآن لمحمد باقر الصدر قدس سرّه: ص 54 و 55.

2- سورة الرعد، الآية: 11.

الإنسان وبين خارجه، فخارج الإنسان يصنعه داخل الإنسان، فإذا تغير ما بنفس القوم تغير ما عليه وضعهم، وعلاقاتهم، والروابط التى تربط بعضهم ببعض، ولذا: فهذه سنة من سنن التاريخ، ربطت القاعدة بالبناء العلوى.

((ذَلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ یَکُ مُغَیِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى یُغَیِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ)) (1)(2).

المسألة الخامسة: آثار سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله على الفرد والأمة

كثيرة هى السنن التاريخية التى يعرضها القرآن الكريم، إلا أننا أجملنا فى ذكرها واكتفينا ببعضها كى ينسجم ذلک مع ما شهدته الحركة التاريخية عند المسلمين وعوامل تطوّرها، ومنها الدور المميز للقرآن الكريم فى تجديد الفكر العربى، ونموه بشكل خاص، والإنسانى بشكل عام.

ولذا كان القرآن قد تصدر الكتب السماوية فى بيانه لهذه السنن التاريخية وآثارها على الفرد والمجتمع فكان منها: سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله تعالى على الفرد والمجتمع؛ وهى سنة تاريخية لعبت دوراً مهما فى تحديد مصير الإنسان والأمة. قال تعالى:

((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِیلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَیْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَکَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)) (3).

1- سورة الأنفال، الآية: 53.

2- السنن التاريخية فى القرآن لمحمد باقر الصدر: ص 58.

3- سورة المائدة، الآية: 66.

وقال عز وجل:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (1).

وقال عزّ شأنه:

((وَأَلَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا))(2).

((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ))(3).

«هـذه الآيات تتحدث عن علاقة معينة بين الاسـتقامة وتطبيق أحكام الله سـبحانه، وبين وفرة الخيرات ووفرة الإنتاج، وبلغة اليوم: بين عدالة التوزيع وبين وفرة الإنتاج.

فالقرآن يؤكـد أن المجتمع الـذى تسوده العدالـة فى التوزيع، التى عبر عنها القرآن تارة بـ: ((وَأَلَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ))، وأخرى بـ: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا))، وأخرى بـ: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ)) ___ هو المجتمع المتقـدم والمعـافى من الأمراض والانحرافات ___.

لأن شريعة السماء نزلت من أجل تقرير عدالة التوزيع، وإقامتها على أسس عادلة، يقول: لو أنهم طبقوا عدالة التوزيع، إذن لما وقعوا فى ضيق من ناحية الثروة المنتجة، بل لازداد الثراء وازدادت الخيرات والبركات، لكنهم تخيلوا أن عدالة التوزيع تقتضـى التقسيم، ومن ثم تقتضى فقر الناس.

1- سورة الأعراف، الآية: 96.

2- سورة الجن، الآية: 16.

3- سورة الزخرف، الآية: 22.

بينما الحقيقة أن السنة التاريخية تؤكد عكس ذلك، تؤكد بأن تطبيق شريعة السماء وتجسيد أحكامها فى علاقات التوزيع، تؤدى دائما وباستمرار إلى وفرة الإنتاج وإلى زيادة الثروة، إلى أن يفتح على الناس بركات السماء والأرض)(1).

أقول: هذه السنة التاريخية التى يعرضها القرآن الكريم والتى جرت فى الأمم السابقة هى أيضا ممكنة الوقوع فى هذه الأمة.

ولذا: نجد القرآن قد قرن نتائجها باتباع أحكام الله عز وجل، بمعنى: أن الأمة لو استقامت فى سلوكها واتبعت أحكام الله تعالى لنالت بركات السماء والأرض؛ بل لحيَتْ حياة لم تحيها أمة من الأمم، وهذا نفسه كان حتمى الوقوع والنتائج فى الأمم السابقة فيما لو استقامت فى سيرها وسلوكها.

كما: إن الأمر غير محصور فى عدالة التوزيع فقط كما ذهب إليه سماحة السيد الشهيد السعيد قدس سرّه بحيث لو أن الأمم قد استقامت فى عدالة التوزيع إذن لما وقعوا فى ضيق من ناحية الثروة المنتجة، وإنما الأمر يتعداه إلى أبعد من ذلك وهو تقديم عقيدة الآباء على أحكام السماء بشكل عام كما دلت عليه الآية.

((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ))(2).

فمخالفة الأمم أحكام الله واتباعهم لمعتقدات آبائهم هو الذى حرمهم من أن يسقوا ماءً غدقا. نعم، عدالة التوزيع إن تمت فى أى أمة من الأمم حتى ولو لم تكن على دين سماوى يؤدى ذلك إلى ازدياد الخيرات، والتاريخ قديماً وحاضراً ملىء بالشواهد التى تدل على أثر عدالة الحاكم فى نمو خيرات بلده.

1- السنن التاريخية فى القرآن للسيد الشهيد لمحمد باقر الصدر: ص 60 و 61.

2- سورة الزخرف، الآية: 22.

الفصل الثالث: حركة التاريخ وسننه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اشارة

يشغل التاريخ حيزاً واسعاً فی علوم أهل البيت عليهم السلام، والسبب فی ذلک يعود إلی اهتمام القرآن أولاً بعلم التاريخ، وثانياً لکونه مدرسة کبيرة لمن أراد أن ينطلق لبناء الحياة الدنيا وينجو فی الآخرة.

فالتاريخ کما يعرضه القرآن والعترة:

هو خزين لتجارب الأمم مع الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين بعثوا إلی هذه الأمم، والتاريخ هو ساحة للصراع بين الخير والشر، وهو نماذج عديدة ومتنوعة من العقول البشرية، ورصيد ضخم من الفکر السياسی والقيادی لهذه الأمم، ناهيک عن تجارب فی الاقتصاد کما فی قضية يوسف أثناء توليه خزانة مصر.

((قَالَ اجْعَلْنِی عَلَی خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِيظٌ عَلِيمٌ)) (1).

وفی الاجتماع وعوامل رقيّه وفساده کقوم لوط.

((وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَکُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ))(2).

1- سورة يوسف، الآية: 55.

2- سورة الأعراف، الآية: 80 __ 81.

وفی الوعی الثقافی والفکری کقوم إبراهیم فی أرض بابل حینما کانت الاتجاهات العقائدیة والفکریة متنوعة بین عبادة الشمس والقمر والنجوم.

((فَلَمَّا رَأَی الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّی هَذَا أَکْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ یَا قَوْمِ إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ (78) إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِیفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ)) (1).

وبین عبادة الأصنام؛

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِیمُ لِأَبِیهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّی أَرَاکَ وَقَوْمَکَ فِی ضَلَالٍ مُبِینٍ))(2).

وبین قدرة إبراهیم علیه السلام فی نفوذه إلی تلک العقول بعقیدة التوحید فمرة ینفذ إلی عقول معتقدی عبادة الأصنام فیکسرها إلا کبیرهم.

((فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا کَبِیرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَیْهِ یَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِینَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِیمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَی أَعْیُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا یَا إِبْرَاهِیمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ کَانُوا یَنْطِقُونَ)) (3).

ومرة ینفذ فی حواره العقائدی مع النمرود حینما أوقف منافذه الفکریة بآیة خروج الشمس من المشرق وتعجیزه أن یأتی بها من المغرب.

1- سورة الأنعام، الآیة: 77 ـــ 78.

2- سورة الأنعام، الآیة: 74.

3- سورة الأنبیاء، الآیة: 58 ـــ 63.

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِی حَاجَّ إِبْرَاهِیمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِیمُ رَبِّیَ الَّذِی یُحْیِی وَیُمِیتُ قَالَ أَنَا أُحْیِی وَأُمِیتُ قَالَ إِبْرَاهِیمُ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ وَاللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ)) (1).

وفی الجانب السیاسی والقیادی للأمة کما فی استخلاف هارون علیه السلام.

((وَاجْعَلْ لِی وَزِیرًا مِنْ أَهْلِی (29) هَارُونَ أَخِی))(2) ((وَوَاعَدْنَا مُوسَی ثَلَاثِینَ لَیْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِیقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِینَ لَیْلَةً وَقَالَ مُوسَی لِأَخِیهِ هَارُونَ اخْلُفْنِی فِی قَوْمِی وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدِینَ))(3).

ناهیک عن الخزین الضخم من التجارب المتنوعة فی المجالات المختلفة والمحصورة بأشخاص کمؤمن آل فرعون، ومؤمن آل یاسین، وآسیة بنت مزاحم، وأصحاب الکهف، وهابیل وقابیل، ومریم ابنة عمران صلوات الله وسلامه علیها، وغیرها.

کل ذلک وغیره مما لم نستطع الإحاطة به کان مداعاة لأن یشغل التاریخ حیزا واسعا فی علوم أهل البیت علیهم السلام لاسیما وان حرکة التاریخ وسننه تبدأ عند أهل البیت علیهم السلام من سراجهم المنیر وهو رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فکیف کانت حرکة التاریخ وسننه عنده؟.

1- سورة البقرة، الآیة: 258.

2- سورة طه، الآیة 29 ـــ 30.

3- سورة الأعراف، الآیة: 142.

المبحث الأول: حركة التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من البديهى أن يهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحركة التاريخ وهو يرى الوحى قد نزل على قلبه بهذا الكم الكبير من الآيات التى تخبره عن الحركة التاريخية والسنن التاريخية لمختلف الأمم التى خلقها الله تعالى، إذ لا يخفى أن القرآن يعرض الحركة التاريخية للأمم الأخرى غير الأنس، كالملائكة وسجودها لآدم، والشياطين ودورها فى انحراف الأمم. ولذا تبدأ هذه الحركة منذ خلق آدم عليه السلام.

بل القرآن يتحدث عن الحركة التاريخية للعلوم ونشوئها وتطورها، كمراحل خلق السموات والأرض، ومراحل النشأة والتكوين للعناصر الحياتية على الأرض، وتاريخ تكوّن الأعراق البشرية، واختلاف الألوان والألسن، وغيرها مما لا حصر له، فما من علم إلا وله بداية نشأ منها وانطلق من عندها ليكوّن بذلك سجلا تاريخياً يدون فيه سير هذه الحركة التاريخية لهذا الصنف من العلم أو ذاك، ولهذه الأمة أو تلك.

ومن هنا: ظهرت الحركة التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسعة وعميقة، فقد روى احمد فى المسند عن عمران بن حصين: "كان نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحدثنا عامة ليله عن بنى إسرائيل لا يقوم إلا لعظيم صلاة"(1).

ويبدو أن السبب فى تركيز النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على بنى إسرائيل لعدة أمور، منها:

1- مستدرک الحاکم ـــ النيسابورى: ج2، ص379. البداية والنهاية لابن كثير: ج 2، ص 157، وقال: رواه أبو داود عن قتادة، عن أبى حسان، عن عبد الله بن عمرو. والحديث رواه البزار من هذا الطريق، ومن طريق عمران بن حصين.

1 ـــ تعاقب عدد من الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم.

2 ـــ تنوع الجوانب الحياتية لديهم باختلاف الأزمنة التى بعثت بها أنبياؤهم؛ بمعنى أن كل فترة زمانٍ أو مكانٍ هو عبارة عن سجل تاريخى للحركة البشرية.

3 ـــ اختلاط اليهود بالمسلمين وتشكيلهم نسبة جيدة من الجغرافية العربية التى تعددت فيها المعتقدات، فقد ظهرت فى الجزيرة والعراق واليمن والشام مجموعة من المعتقدات.

4 ـــ قرب زمانهم من زمان بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يدل على استيعاب المسلمين لأثر السنن التاريخية التى مرت بها مجتمعات بنى إسرائيل.

5 ـــ نفوذ الثقافة اليهودية والنصرانية فى أندية المدينة بشكل خاص.

6 ـــ تجدد العوامل الفاعلة فى حركة السنن التاريخية فى أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو الأمر الذى كان ينبه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يحذر المسلمين منه، بعد أن لاحظ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن العديد من أسس السنن التاريخية بدأت تتحرك فى أمته.

ولذا أراد حفظهم من عدم تحقق هذه السنن التاريخية كى لا تحصد الأمة ما سيترتب على هذه السنن من نتائج.

ومن هنا: نجده صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث المسلمين عن تلك السنن التاريخية التى جرت فى بنى إسرائيل، كى يحذرهم منها ويأمنوا من عدم الوقوع بها. وهو فى نفس الوقت أعطى خزيناً تاريخياً وعاملاً نهضوياً فى قيام الحركة التاريخية عند المسلمين.

المبحث الثانی: السنن التاریخیة عند رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم

لم یغب عن ناظر النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم المنهج الذی قدمه القرآن فی إصلاح الأمم من خلال وضع العدید من السنن الإلهیة فی الحیاة الإنسانیة والتی عرفت فیما بعد وحسب اصطلاح المؤرخة بالسنن التاریخیة؛ فهذه السنن لم تکن تغب عن ناظر الحبیب المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم ولذا کان یحدث المسلمین ویبین لهم تلک القوانین الإلهیة التی تحکمت فی مصیر الأمم السالفة ولاسیما بنی إسرائیل الأقرب عهدا بأمة الإسلام والأکثر احتکاکا وتعایشا، وربما فهما واستیعابا لتلک النتائج التی تمخضت منها هذه السنن التاریخیة.

وحیث إن الطبیعة البشریة هی هی، تتأثر بالمتغیرات الحیاتیة والفکریة وحیث إن عناصر الشر والخیر متأصلة ومتنامیة فی جمیع الأمم کان لزاما علی هذه الأمة أن تحیی تلک السنن التاریخیة والقوانین الحیاتیة التی عاشتها الأمم السابقة.

ومن هنا: نجد النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم ولاسیما فی السنة الأخیرة من حیاته الشریفة یحذرهم من اتباع تلک السنن التاریخیة؛ بل یظهر الحدیث الشریف أنه کان یری أن هذه الأمة قد سلکت سبیل السنن التاریخیة للأمم السابقة لا محالة.

قال صلی الله علیه وآله وسلم:

«لتتبعن سنن من کان قبلکم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة حتی لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتموه»!.

قالوا: فالیهود والنصاری یا رسول الله؟. قال:

فمن أذن»(1).

1- الرسائل العشر للطوسی: ص127. وقریب منه فی: المصنف لابن أبی شیبة: ج8، ص636.

وفی لفظ آخر أنه صلی الله علیه وآله وسلم قال:

«لتتبعن سنن من قبلکم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتی لو سلکوا حجر ضب لسلکتموه.

قلنا یا رسول الله: الیهود والنصاری؟. قال:

فمن»(1).

وفی لفظ أنه صلی الله علیه وآله وسلم قال:

«لا تقوم الساعة حتی تأخذ أمتی بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع.

فقیل یا رسول الله: کفارس والروم؟. قال:

ومن الناس إلا أولئک»(2).

هذه التحذیرات التی أطلقها النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم فی اتباع هذه الأمة السنن التاریخیة للأمم السابقة ولاسیما بنی إسرائیل کانت محفزا قویا عند المؤرخین العرب فی معرفة تاریخ الیهود والنصاری وما جری فی أحوالهم من هذه السنن الإلهیة (التاریخیة).

ومما ساعد علی نمو هذه الحرکة التاریخیة والمعرفیة هو (ظهور جماعة من أهل الدیانة الیهودیة والمسیحیة تتصدی بعد إسلامها لإذاعة تلک المعارف، ـــ وهم الذین ـــ یسمیهم ابن إسحاق ب_(أهل العلم الأول).

ویذکرون عن وهب بن منبه أنه قرأ من کتب الأنبیاء کتبا یختلف عددها فی الروایات بین ثلاثین وبضعة وسبعین أو اثنین وتسعین کتابا.

1- صحیح البخاری: کتاب بدء الخلق، ج 4، ص 144.
2- صحیح البخاری: کتاب الاعتصام بالکتاب والسنة، ج 8، ص 151.

وهذا على الأقل يعنى توفر هذه الكتب فى المناطق من الجزيرة والشام والعراق، فى القرن الأول الهجرى ولو أنها كانت فى معظمها على ما يظهر بالسريانية والعبرانية؛ وقد دخل الكثير منها فى معلومات هذه الكتب على التاريخ العربى حتى لقد عرفت آثارها فى التاريخ، وفى علوم الدين باسم خاص هو: الإسرائيليات.

ويبدو مما وجد من أوراق البردى الإسلامى أن ترجمة هذه الأمور والنصوص إلى العربية قد تمت فى أوائل القرن الثامن الميلادى أو أواخر القرن الأول الهجرى)(1).

فهذه الأسباب هى التى كانت وراء دخول المعارف التاريخية التوراتية الإنجيلية إلى الثقافة الإسلامية ولاسيما التاريخ والحديث، وهو الأمر الذى يفند المزاعم التى أطلقها المستشرق روزنتال فى بحث كتبه عن (أثر التقاليد التوراتية الإنجيلية فى التاريخ لدى المسلمين).

والذى يدعى فيه:

(أن فكرة التاريخ فى الكتاب المقدس قد أثرت فى النبى، وأن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخية العالمية فى إنتاج مؤلفات تاريخية شاملة، وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والآثار التوراتية _ الإنجيلية، وأن ثمة أخيرا توازيا وتشابها فى (شكل) تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخية التوراتية والإسلامية)(2).

1- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 107.

2- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 107 و 108.

فى حين أن الـدافع الذى دفع المسـلمين إلى قراءة التاريخ والآثار اليهودية الإنجيلية هو ليس ما تحتويه هذه الكتب من مادة تاريخية، وإنما الأحاديث النبوية التى أطلقها النبى الأكرم صـلى الله عليه وآله وسـلم فى اتباع أمته سنن الأمم السالفة ولاسيما بنى إسرائيل؛ فكان الخوف من الوقوع فى هـذه السـنن ومحاولـة تجنبها والنجاة منها هو المحفز الأول فى قراءة هـذه الآثار التوراتيـة الإنجيليـة، وإلا هـذه الآثار كانت موجودة قبل الإسلام لكنها لم تأخذ من الوعى التاريخى عند العرب أى اهتمام يذكر كما يدعى روزنتال.

(ويثير روزنتـال بعض التساؤلات حول أى نوع من النصوص ـــ التوراتيـة الإنجيليـة ـــ نقل إلى العربيـة هل هو بعض الفرق المسـيحية أو اليهودية المعنية أم هو أشـكال محورة عن النصوص الأهلية لذلك القصـص القديم، ويضيف أنه من المقبول عامة لدى الباحثين المحدثين أن معظم المواد التاريخيـة التى أخذها المؤرخون (منذ أواخر القرن الثالث فما بعد) كما اتضح لدى الطبرى وحمزة الاصـفهانى والبيرونى واليعقوبى، إنما ترجع إلى كتاب «المدارش والهاغاداه»(1) لدى اليهود والنصارى، ولكنها خضعت للكثير من التعديل؛ ومثل ذلك قصص الأنبياء.

1- التاريـخ العربى والمؤرخون لشاكر مصـطفى: ص 108، وجاء فيه (المـدارش) هى: التفاسـير الأولى للتلمود وهى أساس المثنا الـذى نسـقه الحاخـامون بعـد القرن الثـانى الميلادى وأما (الهاغاداه) فكتب التهجـد والوعظ. وهناك الجمارة، وهى: جمرة المناظرات والتعاليم والتفاسـير التى جرت فى المـدراش، أى: أماكن تـدريس الكتاب المقدس فى الكنيس (وجذر كلمة مدراش = دراسة ومدرسة) وذلك بعد انتهاء جمع المثنا.

وما أراد روزنتال أن يعـدّه تأثيرا ونقلا إنما يرجع فى الواقع إلى حقيقـة مسـبقة وهى أن القرآن جاء ((مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ)) وأن الإسـلام لم ينكر وجود العقائـد الدينيـة السابقة ولكنه رفض اسـتمرار الإيمان بها بعد ظهوره، ووحدة الرسالة منذ إبراهيم أبى الأنبياء، وعبر الأنبياء المتعددين حتى محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم آخر النبيين، إنما كانت تقتضى هذا النوع من التطابق مع الفكر التاريخى للتوراة والإنجيل، وهذا النوع من المقبول للمادة التاريخية الناجمة عنها)(1).

بل إن السـبب فى التشابه بين المادة التاريخيـة اليهوديـة ـــ الإنجيليـة ـــ وبين المادة التاريخية الإسـلامية هو ليس هذا النقل الذى تم من خلال ترجمة كتابى «المدارش والهاغاداه» ودخول هذه الثقافة إلى الفكر الإسلامى، إنما هو تحقق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى اتباع هذه الأمة سنن بنى إسرائيل لدرجة الشبر بالشبر والذراع بالذراع؛ بل لو دخل أحدهم فى حجر ضب لدخله المسلمون!.

هذا الانطباق الواقعى للسـنن التاريخية بين بنى إسـرائيل والمسلمين لاسيما ابتداء تحقق ذلک بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانقسامهم على ثلاث وسـبعين فرقـة فى هـذا الزمن وانتشار الفكر التكفيرى فيما بينهم هو الـذى خلق هذا التصور الذى ذهب إليه روزنتال وغيره من المستشرقين والباحثين فى نشأة التاريخ العربى والإسلامى وحركته وتطوره.

إذن: مثلما ركز القرآن الكريم على نفوذ السنن التاريخية فى الأمم السابقة كذلک كان حالها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

1- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 108.

الفصل الرابع: حركة التاريخ وسننه عند الإمام على عليه السلام

اشارة

لكى نضع أيـدينا على تطور الوعى التاريخى عنـد العرب فلابد أن ندرک دور القرآن وعترة النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فى تدريس هذا العلم وتطويره.

بل: إنهم أصـحاب الفضل الأول بعد القرآن فى خلق هذا الوعى التاريخى وتطويره وتثقيفه بين أهله ـــ كسـليم بن قيس ومحمد بن إسحاق المطلبى ـــ حتى جعلته يحتل الصدارة فى هذا العلم.

ولـذا كان لزاما أن نعرّج على مدرسـة الإمامـة، ونهبط عنـد أعتاب باب مدينـة علم النبوة، وأن نجلس بين أروقـة مدرسـة أمير المؤمنين عليه السلام لنفهم كيف هو التاريخ عنده، حركة وسنة؟.

المبحث الأول: حركة التاريخ عند الإمام على عليه السلام

يتخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من حركة التاريخ وسيلة لتقويم السلوک الإنسانى وأداة لإصلاح المجتمعات؛ هذا الإصلاح الذى لا يتم إلا من خلال إصلاح أفراد المجتمع أو الأمة كما يعبر عنها القرآن الكريم.

وتمتاز علاقة الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام بحركة التاريخ عن غيره ممن يهتمون بالتاريخ بأنه عليه السـلام يتعايش مع هذه الحركة وكأنه عنصرٌ من عناصر هذه الحركة، وواحد من مكوناتها، فما أن مرّ على أمة من الأمم تحدث عنها وكأنه أحد أفرادها المبصرين بأحوال أمته.

ولـذا لم يكن ـــ حينمـا يتحـدث عن هـذه الأمـة أو تلـك ـــ بالرجل القاص، أو الراوى المتسـلى؛ وإنما هو الرجل المعايش لهـذه الأمة والعارف بعوامل نهوضها، أو اندثارها، المتبحر فى أخلاقها وسلوكها.

ومن هنا: نجـده يحثّ على التعامل مع التاريـخ تعامل المرشـد، والمصـلح، والمقوّم لحركـة الإنسان الدنيوية والأخروية؛ مما جعل بعض الباحثين ينظرون إلى هذه العلاقة بأنها (علاقة وعظية)(1)، أى أن الغالب فى حديثه عليه السلام عن التاريخ هو الوعظ.

فى حين أنه عليه السلام لم يكن ليخالف المنهج القرآنى والنبوى ـــ الذى عرضناه ـــ فى بيان حركة التاريخ وسننه، وهو الأمر الذى يمكن ملاحظته بشكل واضح فى خطبه وحديثه عن حركة التاريخ وسننه.

ففى حركة التاريخ يقول عليه السلام وهو يوصى ولده الإمام الحسن عليه السلام:

«أى بنىّ إنى وإن لـم أكن عُمِّرتُ عُمْرَ من كـان قبلى، فقـد نظرت فى أعمـالهم، وفكّرت فى أخبـارهم، وسـرتُ فى آثـارهم، حـتى عُـدتُ كأحدهم، بل كأنى انتهى إلىّ من أمورهم، ما قد عُمِّرتُ مع أولهم إلى آخرهم، فعرفتُ صفو ذلک من كدِرِه، ونفعه من ضرره»(2).

وهنا نلاحظ رصـده الـدقيق لحركة التأريخ منذ أن وُجد الإنسان على هذه البسـيطة وإنه جمع هذه المعرفة من خلال النظر فى أعمال الأمم أفراداً وجماعـات، وفكّر فى أخبـارهم التى دأب المؤرخون على عرضـها دون الفكرة فى أحوالهـا، فامتـاز عنهم بالنظر والفكر والسبر فى من آثارهم حتى أصبح كأحدهم. بل لدرجة انّه

1- حركة التاريخ عند الإمام على عليه السلام، محمد مهدى شمس الدين.

2- نهـج البلاغـة: خطب الإمام على عليه السـلام: ج 3، ص 41. تحف العقول لابن شـعبة الحرانى: ص70. كشف المحجة للسـيد ابن طاووس: ص 161.

أصبح له من المعرفة بتاريخ هذه الأمم وأحوالها وكأنّه عمّر مع أولهم إلى آخرهم، ليخرج بمحصلة لهذا كله بأنه أصبح الخبير المتمرس والعارف الحاذق بصفو الحياة الماضية من كدرها ونفعها من ضررها. وبمعنى أدق: أصبح العارف بصفو التأريخ من كدره ونفعه من ضرره.

هذه المعرفة الواسعة والشاملة والعميقة والدقيقة بالتاريخ حركة وسنة ـــ كما سيمر علينا ـــ كان لها الأثر الفعال فى نمو الوعى التاريخى عند المسلمين ولاسيما رواد مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليه السلام ك_(سليم بن قيس الهلالى، وجابر بن يزيد الجعفى، ومحمد بن إسحاق المطلبى شيخ كتّاب السيرة النبوية) وغيرهم.

المبحث الثانى: السنن التاريخية عند الإمام على عليه السلام

اشارة

لقد امتازت نظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية بميزات عديدة منها:

1 ـــ الإحاطة بهذه السنن منذ ابنى آدم إلى أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

2 ـــ تحديد العامل المشترك فى جميع هذه السنن وهو طاعة الله } ومعصيته.

3 ـــ تشخيص ما تؤول إليه هذه الأمة من اتباعها السنن التاريخية التى سارت عليها الأمم السالفة.

4 ـــ الدور الإرشادى لهذه السنن فى إصلاح المجتمع.

المسألة الأولى: الإحاطة التامة بالسنن التاريخية

ومن الشواهد على الميزة الأولى، قال عليه السلام:

«وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ أَيْنَ

الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالأُلُوفِ وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ»؟(1).

فهذه النظرة المحيطة بالسنن التاريخية التى تهاوت بفعلها تلك الأمم فلم تبق منها سوى الأساطير هى فى الواقع تصرخ بالقادم من الأجيال إلى الحذر من الوقوع فى مهالک تلک الأمم حينما لم يراعوا قوانين السماء وما جاءت به الأنبياء من شرايع.

وفى شاهد آخر يقول عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِى إِسْحَاقَ وَبَنِى إِسْرَائِيلَ عليهم السلام فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ»(2).

وفى شاهد آخر يقول عليه السلام:

«تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِى حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِىَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، وَمَهَافِى الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ، إِخْوَانَ دَبِرٍ وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لاَ يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلاَ إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالأَيْدِى مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِى بَلاَءِ أَزْلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ»(3).

وهنا يتحدث عليه السلام عن حال العرب فى الألف الأولى قبل بعث النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أى ما بين موسى عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

1- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطبة فى تنزيه الله، ج 2، ص 108، خ 182.

2- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: الخطبة القاصعة، ج 13، ص 171.

3- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام على عليه السلام، ج 2، ص 153.

وشمال أفريقيا مصر وما جاورها، وأهل مكة وما يحيط بها من مدن، كيف كان حالهم؟ وما هو دور السنن فی رسم حياتهم؟.

أنهم كـانوا مشـتتين مفرقين حينمـا كانت ملوک الفرس فی الشـرق، وأباطرة الروم فی الغرب، تتحكم بهم وتقبض على أنفاسـهم وأرواحهم وتنهب خيراتهم، كانوا يزرعون ليأكل الأكاسـرة والقياصـرة بينما هم مـدفوعون عن خضـرتهم إلى منابت الشـيّح ومهافی الريـح (أی عنب الصـحراء) ونكد المعاش، فتركوهم عالة مساكين، أخوان دبرٍ ووبر (أی: تحت الخيام التی تصـنع من شـعر الإبل وهو الوبر) أذل الأمم داراً وأجدبهم قراراً.

ثم يمضـی عليه السلام فی بيان حال العرب قبل أن يمنّ الله عليهم بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكيف يصبح حالهم بعد أن بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولعليه السلام:

«فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَ جَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَ أَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا وَ الْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِی عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا فَأَصْبَحُوا فِی نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ وَ فِی خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِی ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَ آوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ وَ تَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِی ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَ مُلُوكٌ فِی أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ وَ يُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ وَ لاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ»(1).

1- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السـلام: الخطبة القاصـعة، ج 2، ص 154. بحار الأنوار للعلامة المجلسـی رحمه الله: ج 14، ص 473. شرح نهج البلاغة لابن أبی الحديد: ج 13، ص 177.

المسألة الثانية: تحديد العامل المشترک فی السنن التاريخية

أما الميزة الثانية لنظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية، فهی: تحديد العامل المشترک فی جميع هذه السنن وهو طاعة الله } ومعصيته.

فيقول عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا»(1).

«وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِیَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلاَّ لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْیَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِی، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِی»(2).

والسمة الأبرز فی هذا العامل المشترک بين السنن التاريخية هی سنة الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر التی بها يكون حفظ المجتمعات من التفكک والانهيار وضياع النعم والخيارات وفقدان الأمن وما يتلوه من انعدام الأمان والسلام وانتشار الفوضی وعموم الفساد.

ولذا نجده عليه السلام قد ركز علی دور هذه السنة التی تعد السمة البارزة فی ظهور طاعة الله وعصيانه؛ ولذلک اتبعها بلعنه للسفهاء الذين يركبون المعاصی، والحلماء لتركهم التناهی.

1- مستدرک الوسائل للميرزا النوری: ج 12، ص 194.

2- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبة القاصعة، ج 2، ص 156. بحار الأنوار للعلامة المجلسی رحمه الله: ج 34، ص 223.

وفی قول آخرُ یظهر فیه أهمیة هذه السنة التاریخیة وما تؤول إلیه الأمم فی ترکها، أو العمل بعکسها فیقول علیه السلام:

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلاَ مُنْکِرٌ مُغَیِّرٌ وَلاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ أَفَبِهَذَا تُرِیدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِی دَارِ قُدْسِهِ ـــــ (أی الجنة) ـــــ وَتَکُونُوا أَعَزَّ أَوْلِیَائِهِ عِنْدَهُ هَیْهَاتَ لاَ یُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلاَ تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ».

«لَعَنَ اللَّهُ الآمِرِینَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِکِینَ لَهُ وَالنَّاهِینَ عَنِ الْمُنْکَرِ الْعَامِلِینَ بِهِ»(1).

المسألة الثالثة: تشخیص نتائج السنن

وفی تشخیص ما تؤول إلیه هذه الأمة من اتباعها للسنن التاریخیة التی سارت علیها الأمم السالفة یقول علیه السلام:

«أَیُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِینِ الْبَاطِلِ لَمْ یَطْمَعْ فِیکُمْ مَنْ لَیْسَ مِثْلَکُمْ وَلَمْ یَقْوَ مَنْ قَوِیَ عَلَیْکُمْ لَکِنَّکُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِی إِسْرَائِیلَ وَلَعَمْرِی لَیُضَعَّفَنَّ لَکُمُ التِّیهُ مِنْ بَعْدِی أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِکُمْ وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَی وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ»(2).

1- نهج البلاغة للإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: من کلام له خاطب به أباذر، ج 2، ص 12، ح 129. وسائل الشیعة (آل البیت) للحر العاملی رحمه الله: ج 16، ص 151، ح (21216)9.

2- نهج البلاغة للإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: من خطبة له أول خلافته عظم فیها حقه: ج 2، ص79، ح 166. الکافی للشیخ الکلینی رحمه الله: ج 8، ص 66، ح 22، وجاء فیه: (وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَی مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم.

وتشخيصه عليه السلام لسلوك هذه الأمة سنن من كان قبلها، لم يكن تشخيص المنظّر للأحداث التاريخية، وأحوال الأمم السابقة؛ وإنما تشخيص الخبير المتمرس. ولذا نجده يظهر الأسباب والنتائج، فيبدأ بذكر الأسباب، فيقول:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ» «لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ».

وهذه النتيجة التى تكشف عن تحرك السنة التاريخية فى هذه الأمة تظهر نتائجها فى كل زمان ومكان.

ثم إنه عليه السلام لم يكتفِ بذلك فقط وإنما يظهر ما تؤول إليه مضاعفة النتائج، إذ نفس هذه النتيجة يمكن للأمة أن تتحكم فى تغييرها نحو الأفضل فيما لو سعت إلى تغيير هذه النتيجة التى يظهرها عليه السلام بأنها سبب آخر لتردى الحال، فيقولعليه السلام:

«لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِى إِسْرَائِيلَ، وَلَعَمْرِى لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِى أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ».

ويظهر هنا أن بعض السنن التاريخية المتعلقة بهذه الأمة تتضاعف فيها النتائج الارتدادية لسيرها، لدرجة يبدو فيها أن التدارك لهذه النتيجة صعب، إن لم يكن مستحيلا؛ والسبب يعود إلى تمسك هذه الأمة بالنهج الذى انتهجته، من جعلها الحق وراء ظهرها، وقطعها الأدنى (أى القريب من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ووصلها أى مؤازرتها واتباعها) للبعيد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا: لم يكن عليه السلام ليدع هذه الأمة الإسلامية، ولاسيما العرب لتسير فى هذا الطريق المظلم، أو أن تتبع سنن الذين ظلموا أنفسهم وأهليهم؛ بل كان يرشدهم ويحثهم على تجنب الفتنة والوقوع بها والخوض فيها، فيقول عليه السلام:

«ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلاَيَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِى قَتَامِ الْعِشْوَةِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا.

تَبْدَأُ فِى مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ، شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلاَمِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السَّلاَمِ، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِى دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ»(1).

لكن النتائج التى انتهت إليها هذه الأمة كانت تظهر أنّ هذا التنبيه والتحذير والإرشاد، لم يكن ليؤتى ثماره كما لم تأتِ ثمار التوجيه والإرشاد والتحذير التى قدمها القرآن الكريم؛ والسبب فى ذلك يبدو فى إصرار الناس على التمسك بالباطل، وتقديم المصالح والأهواء على الحقوق والأحكام الشرعية.

أى أن الله } لم يكن ليترك هذه الأمة دون أن تجرى فيها سنة الافتتان كما جرت فى الأمم السابقة إلا أن الفارق هو أن هذه الأمة كان لديها رصيد ضخم

1- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطبته فى الفتنة وما يكون فيها، ج 2، ص 37. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 34، ص 266، الباب الثالث والثلاثون، ما وقع فى أيام خلافته عليه السلام.

من المعرفة بهذه السنن التاريخية ومقدماتها ونتائجها إذ لم يدعها القرآن على عمى ولم يتركها النبى صلى الله عليه وآله وسلم دون هدى.

لكن النفس الإنسانية هى النفس لم تكن لتعلم موقعها من الحق والباطل ما لم تفتتن وتجرِ فيها هذه السنة الإلهية التى جرت فى الأمم السابقة؛ وفى ذلک يقولعليه السلام وقد سأله رجل عن الفتنة قائلا له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها؟. فقال عليه السلام:

«إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ:

((الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ))

عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لاَ تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِى أَخْبَرَکَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟.

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِى سَيُفْتَنُونَ بَعْدِى.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِى يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّى الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِکَ عَلَىَّ فَقُلْتَ لِى أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِکَ.

فَقَالَ لِى: إِنَّ ذَلِکَ لَکَذَلِکَ فَکَيْفَ صَبْرُکَ إِذاً.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ وَلَکِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّکْرِ.

وَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَ يُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَ طْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْکَاذِبَةِ وَالأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِکَ، أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟.

فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ»(1).

فکیف لا تکون کل هذه الإحاطة بهذه السنن التاریخیة من مقدماتها، وذیمومتها، وتضاعف نتائجها، من تکوین وعی تاریخی عند تلامذته بشکل خاص وعند العرب بشکل عام؟.

وکیف لا یکون سلیم بن قیس الهلالی صاحب التصنیف الأول فی کتابة الوجه الآخر لتاریخ المسلمین بهذا القدر الکبیر من الوعی التاریخی والفکر المنهجی.

وکیف لا یکون محمد بن إسحاق المطلبی صاحب المغازی والسیر ومصنف السیرة النبویة الأول بهذا الوعی التاریخی وهو قد نشأ فی بیت عُرف بموالاته للعترة النبویة، وتتلمذ فی مدرسة علی أمیر المؤمنین علیه السلام، فهذا نهجهم فی حفظ سیرة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وتدوینها علی الرغم من اضطهاده ومحاربته علی ما قدم لهذا العلم.

ولذا: لم تکن الحضارتان اللتان أحاطتا بأهل مکة فی الشمال والجنوب وما تناقل إلیها من أخبار الأکاسرة والقیاصرة هما اللتین أنشأتا التاریخ عند العرب ولاسیما العرب المسلمین، بل ما زخر به القرآن الکریم والعترة النبویة من مادة لهذا العلم حرکة، وسننا، ووعیا، وتطویرا، هو السبب الأول والمباشر لنشأة التاریخ عند العرب وتطوره.

1- نهج البلاغة للإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: خطب الإمام علی علیه السلام، ج 2، ص 50، ح 156.

المسألة الرابعة: بيان الدور الإرشادى فى السنن التاريخية

اشارة

إنّ بيان الدور الإرشادى لهذه السنن فى إصلاح المجتمع المسلم ـــ وهى الميزة الرابعة فى نظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية ـــ يركز الإمام عليه السلام على هذا الدور الفعال وما له من أثر عميق على النفس، وهى تنظر فى عاقبة تلك الأمم السابقة وما آلت إليه من رقى وتدهور ورفعة ودنو، بل كيف كان عاقبة أفرادها.

والدور الإرشادى للسنن التاريخية عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتبلور فى محورين، عام للناس وخاص للمؤمنين.

محورا الدور الإرشادى:

المحور الأول: المحور الإرشادى العام

فى هذا المحور يركز الإمام على عليه السلام على أسلوبين، وهما (أسلوب الاعتبار، وأسلوب التحذير).

ففى الأسلوب الأول يرشد الناس إلى الإصلاح من خلال اختياره بعض الشواهد التاريخية، والظاهر أن الإمام أختار هذا الأسلوب الإرشادى إلى طبقة خاصة من المجتمع وهم العقلاء، فهم الأوفق لفهم هذا النوع من الإرشاد، وهو الاعتبار.

فيقول عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلاَتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِى خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِى الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ

أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ؛ فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ، قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ.

فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَى وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالاِخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَالاِقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

((أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ))(1).

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ»(2).

«وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ.

فَقَالَ:

أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ،

1- سورة المؤمنون، الآية: 55 و 56.

2- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام على عليه السلام، الخطبة القاصعة فى ذم الكبر، ج 2، ص 143، خ 192. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: باب 31، ج 14، ص468، خ37.

وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ؛ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا»(1).

وفى الأسلوب الإرشادى التحذيرى يتوجه الإمام على عليه السلام إلى طبقات المجتمع كافة ويدعوهم جميعاً ولاسيما العقلاء إلى التفكر فى أحوال تلك الأمم السابقة، فيقول:

«وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاَتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِى تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ، مِنَ الاِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِى بِهَا.

وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الأَيْدِى»(2).

1- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: خبط الإمام، الخطبة القاصعة فى ذم الكبر، ج 2، ص 144 __ 145، خ 192. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: باب 4 بعثة موسى وهارون H، ج 13، ص 141، خ 61. التفسير الصافى للفيض الكاشانى: ج 4، ص395، سورة الزخرف، الآية 55.

2- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبة القاصعة، ج 2، ص 150__ 151. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: باب 31، ج 14، ص 472. شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 13، ص 169.

ويمتاز هذا الأسلوب الإرشادى بميزات عدة:

1 . الدعوة إلى التفكير بأحوال الأمم السابقة مع بيان فائدة التفكر.

2 . وضع منهج سلوكى للمجتمع يرتكز على تلك التجارب التى خاضتها الأمم السابقة لغرض اتباع ما من شأنه أن يحقق العزة؛ واجتناب ما من شأنه أن يؤدى إلى الذلة والتهلكة.

3 . تشخيص الموارد التى تحمل على الفرقة بين أبناء الأمم وتجنب الوقوع فيها كالتضاغن والتشاحن والتدابر والتخاذل.

المحور الثانى: المحور الإرشادى الخاص

وفى المحور الثانى من الدور الإرشادى للسنن التاريخية، وهو المخصوص بالمؤمنين، يقول عليه السلام:

«وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلاءِ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً.

اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ، وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ.

حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً وَأَئِمَّةً أَعْلاماً، وَقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ

نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِی أَقْطَارِ الأَرَضِینَ، وَمُلُوکاً عَلَی رِقَابِ الْعَالَمِینَ، فَانْظُرُوا إِلَی مَا صَارُوا إِلَیْهِ فِی آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِینَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتِ الأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْکَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِینَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِینَ، وَقَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ کَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِیَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِیکُمْ، عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِینَ مِنْکُمْ»(1).

ونلاحظ فی هذا النموذج من الخطاب أن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام قد استخدم فی الدور الإرشادی مع المؤمنین أسلوب الحث علی التدبر فی السنن التی جرت فی الأمم السابقة والنظر فی أحوال المؤمنین فیها؛ وهو المنهاج الذی یدعو إلیه القرآن، قال سبحانه:

((وَلَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ فَصَبَرُوا عَلَی مَا کُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّی أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِکَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَکَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِینَ))(2).

إذن؛ حظیت حرکة التاریخ وسننه باهتمام کبیر عند أمیر المؤمنین علی علیه السلام مما انعکس بشکل ملحوظ وفعال علی الوعی التاریخی عند العرب، وکان أحد العوامل التی دفعت بهذا العلم إلی التطور والنهوض وهو الأمر الذی أدی ثماره فی ظهور شخصیات إسلامیة تصدرت الکتابة عن التاریخ حرکة وسننا ووعیا وتدوینا.

ولو أردنا أن نتتبع بقیة الشواهد فی خطب الإمام علی علیه السلام لرصد حرکة التاریخ وسننه لاحتاج البحث إلی جهد أکبر فی حین وجدنا فیما استشهدنا به کفایة لتکوین صورة عن أثر مدرسة أهل البیت علیهم السلام فی حرکة التاریخ وسننه وتطوره.

1- نهج البلاغة للإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام: ج 2، ص 151.
2- سورة الأنعام، الآیة: 34.

الفصل الخامس: حركة التاريخ وسننه عند فاطمة الزهراء عليها السلام وأثر ذلک على الوعى التاريخى وتدوينه

اشارة

من الروافد التی نمت علی منهله جذور علم التاریخ فانتشی واقفاً یلقی بأغصانه علی خواص أهل هذا العلم، فأناخوا فی ساحته رکابهم وحطوا بجواره قرطاسهم ودواتهم؛ هو رافد کلمات البضعة النبویة فاطمة الزهراء علیها السلام الذی أحدث نقلة نوعیة فی دفع حرکة التاریخ الإسلامی وتدوینه.

إلا أن الفارق الذی یفترق به رواد مدرسة أهل البیت علیهم السلام عن غیرهم من رواد المدارس الأخری، أن رواد هذه المدرسة حینما کتبوا الحدث التاریخی کانت کتابتهم محاطة بالوعی والنقد والتحلیل والواقعیة والأمانة لجمیع ما سارت علیه الأمة سواء کان یرضی أصحاب الحدث أم لم یرضهم.

ولذلک نجد أن جهابذة هذا العلم حوربوا أشد المحاربة واضطهدوا وشردوا ونفوا عن مدینة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

فضلاً عن ذلک فإنّ طلاب هذه المدرسة المحمدیّة امتازوا ـــ أیضاً ـــ بتدوین الحدث وتصنیفه وتوثیقه قبل غیرهم سواء من التفت من المؤرخین إلی تدوین بعض ما یتعلق بسیرة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ک_: (سعید بن سعد بن عبادة الأنصاری)(1) أم من دوّن التاریخ الحولی کابن جریر الطبری(2) وغیره.

1- تاریخ التراث العربی لفؤاد سزکین: ج 2، ص 65.

2- تاریخ التراث العربی: ج 2، ص 159.

ومن هنا: نجد معظم الكتابات فی هذا العلم أو الدراسات التی کتبت عنه تجنبت الخوض فی مصنفات طلاب هذه المدرسة ک_: کتاب سلیم بن قیس الهلالی أو حتی الإشارة إلیه، ناهیک عن اتهامهم بالطائفیة والتحزب لعلی علیه الصلاة والسلام، وکأنه لم یکن أحد أرکان هذا التاریخ الإسلامی والعربی.

والسبب فی ذلک کله یعود إلی کتابتهم التاریخ بوعی وأمانة وعدم انحیاز للأهواء والأغراض السیاسیة، فکانت حیاتهم فی خطر مستمر وتشرید وغربة.

المبحث الأول: حرکة التاریخ عند فاطمة الزهراء علیها السلام

المسألة الأولی: تشخیصها علیها السلام لبدء حرکة التاریخ

تمتاز بضعة النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم عمن سبقها وعمن لحقها فی بیانها لحرکة التاریخ بأنها علیها السلام تتفرد بتشخیص نقطة انطلاق النشأة والتکوین للخلق وتحدیدها، بمعنی آخر جمیع الذین تحدثوا عن تاریخ الأمم والشعوب ولم یتوسعوا فی هذا التصنیف لیشمل جمیع أنواع المخلوقات الحیوانیة والنباتیة والجمادات؛ لأن کل هذه الأجناس لها تاریخ فی نشوئها ومواطن خلقها ووجودها.

إلاّ أن سیدة النساء فاطمة علیها السلام حینما قدمت الحرکة التاریخیة ابتدأت من النقطة الأولی التی خلق الله تعالی فیها الأشیاء.

فمن هذه اللحظة تبدأ حرکة التاریخ عند البضعة النبویة علیها السلام؛ وهو الأمر الذی لم یرد حتی فی ظاهر آیات القرآن الکریم؛ أما باطن القرآن ففیه علم کل شیء.

قال تعالى:

((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ))(1).

وهذا الغيب الذى جمع الله فيه العلوم بحيث لا يعزب عنه ـــ عزّ شأنه ـــ مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين، قد جمعه الله تعالى أى هذا العلم فى إمام مبين.

قال تعالى:

((إِنَّا نَحْنُ نُحْيِى الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ))(2).

فكيف بمن كانت حجة الله على الأئمة(3).

ولذا:

حينما بدأت بضعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث عن الحركة التاريخية للوجود بدأتها من الخلق الأول والنشأة الأولى للأشياء.

1- سورة سبأ، الآية: 3.

2- سورة يس، الآية: 12.

3- قال الإمام الحسن العسكرى عليه السلام: «نحن حجج الله على الخلائق، وأمنا فاطمة حجة الله علينا». «الأسرار الفاطمية، للمسعودى: ص17، نقلاً عن تفسير أطيب البيان: ج13، ص226.

فقالت علیها السلام:

«ابتـدع الأشـیاء لا من شـیء کان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، کونها بقدرته، وذرأها بمشـیته، من غیر حاجة منه إلی تکوینها، ولا فائـدة له فی تصویرهـا، إلاـ تثبیتا لحکمته، وتنبیها علی طاعته، وإظهارا لقـدرته، تعبـدا لبریته وإعزازا لـدعوته، ثم جعل الثواب علی طاعته، ووضع العقاب علی معصیته، ذیادة لعباده من نقمته، وحیاشة لهم إلی جنته»(1).

وهنا: لم تُظهر فاطمة علیها السـلام الحرکة التاریخیة لخلق الأشیاء وبدء تکوینها وإنما تلحق هذا البیان بإجراء الله تعالی لسننه التی جعلها فی الخلق، والعلـة التی لأجلهـا خلقهم؛ ولـذا تضع فی هـذا البیان الموجز العلـة والمقدمـة والنتیجـة مجموعـة کلها فی بیان هـذه الحرکة التاریخیة لوجود الخلق. فکانت العلة فی خلق الله تعالی للخلق هی:

1 . تثبیتاً لحکمته.

2 . تنبیها علی طاعته.

3 . إظهاراً لقدرته.

4 . تعبداً لبریته.

5 . إعزازاً لدعوته.

والحکمة فی جعله ـــ عزّ شأنه ـــ الثواب علی الطاعة، ووضعه العقاب علی المعصیة هی:

1- کتاب الاحتجاج للطبرسـی، خطبة الزهراء صـلوات الله وسلامه علیها: ج 1، ص 133. بحار الأنوار للعلامة المجلسـی رحمه الله: ج 29، ص 221، الباب 11. بلاغات النساء لابن طیفور: ص 15.

1 . ذيادة، أى دفعاً لعباده تعالى عن نقمته.

2 . حياشة، أى يجمعهم ويسوقهم إلى جنته.

أما جعله ـــ عز وجل ـــ للسنن التاريخية فى سير هذا الخلق، فكان يرتكز على سنّتين:

السنّة الأولى: طاعة الله تحقق الثواب.

السنّة الثانية: معصية الله تحقق العقاب.

المسألة الثانية: تحديد حركة تاريخ النبوة

مثلما تميزت الحركة التاريخية للخلق عند سيدة نساء العالمين عليها السلام كذلك الحال فى بيانها الحركة التاريخية للنبوة، فقد أظهرت عليها السلام النقطة الأولى لانطلاق النبوة مع بيان العلة فى وجودها وما يرافقها من سنن وما يتبعها من نتائج وما سبقها من مقدمات، ظهرت آثارها فى الأمم التى بعثت فيها الأنبياء، فتقول عليها السلام:

«وأشهد أن أبى محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة؛ علما من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور.

ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير حتمه»(1).

وهنا تبدأ سيدة نساء العالمين عليها السلام فى تحديد نقطة انطلاق الحركة التاريخية للنبوة، والتى تتميز بميزات منها:

1- الاحتجاج للطبرسى، خطبة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها: ج 1، ص 133.

1 . إنّ الله تعالى خلق الخليفـة قبل الخليقـة، بمعنى قـدم خلق النبى المصطفيصـلى الله عليه وآله وسـلم قبل خلق الخلائق بزمن لا يعلم مقداره إلا الله تعالى ورسول الله وعترته عليهم السلام.

وهو ما عبرت عنه بقولها عليها السلام:

«اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه».

2 . تقديم الحركة التاريخية للنبوة على الحركة التاريخية للخلق بثلاث مراحل زمنية:

المرحلـة الأولى: مرحلة مكنون الغيب، وهى أولى المراحل لحركة تاريخ الخلق حيث كانت الخلائق فى مكنون الغيب فلا يعلم أين كانت إلاّ الله تعالى.

المرحلة الثانية: مرحلة ستر الأهاويل، أى: أن هذه الخلائق كانت محاطة بستر يمنعها من الظهور، والهول: هو الفزع، فيكون الفزع هو الذى يصونها، أى يحفظها.

المرحلـة الثالثـة: مرحلـة إقران العدم، أى ان هذه الخلائق لولا بعث المصطفيصـلى الله عليه وآله وسـلم لكانت معدومة من نعمة الظهور والفوز بالخلود بالجنة نتيجة للطاعة وتجنباً للمعصية.

3 . بيان العلة فى تقديم حركة تاريخ الخليفة، ـــ أى: النبوة ـــ على حركة تاريخ الخليقة هو لما يلى:

أ . علم الله تعالى بما تؤول إليه الأمور.

ب . إحاطته عز وجل بحوادث الدهور، أى الأزمنة.

ج . معرفته تعالى بمواقع المقدور، وفى رواية بمواقع الأمور.

فهذه الأسباب كانت وراء تقديم حركة تاريخ النبوة على حركة تاريخ الخلق، أى الخليفة قبل الخليقة.

4 . إنّ الحكمة فى بعث النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت فيما يلى:

أ . إتمام لأمر الله تعالى.

ب . عزيمة على إمضاء حكمه الله تعالى.

ج . وإنفاذ لمقادير حتم الله تعالى.

وعليه؛

يظهر مما تقدم فوائد تحديد سيدة النساء عليها السلام لنقطة انطلاق الحركة التاريخية للنبوة.

المسألة الثالثة: وقائع الحركة التاريخية الأممية

ثم تنعطف سيدة النساء عليها السلام بعد بيانها لبدء الحركة التاريخية للنبوة إلى الحركة التاريخية الأممية من خلال سير الرسالة المحمدية فى الأمم، فتسجل الحركة التاريخية للنبوة ما رأته من وقائع فى الأمم السابقة.

فقالت عليها السلام:

«فرأى الأمم فرقا فى أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها»(1).

1- الاحتجاج للطبرسى، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 1، ص 133. الانتصار للعاملى: ج 7، ص368.

بمعنى:

أن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى أثناء الحركة التاريخية لنبوته رأى أربع وقائع فى الأمم السابقة.

وهى الآتى:

الواقعة التاريخية الأولى: أن هذه الأمم متفرقة فى أديانها، بمعنى أن كل أبناء ملة واحدة ودين واحد متفرقون فى دينهم.

الواقعة التاريخية الثانية: أنّ هذه الأمم عكف على عبادة النيران.

الواقعة التاريخية الثالثة: أنها تعبد الأوثان.

الواقعة التاريخية الرابعة: أنها منكرة لله مع عرفانها بالخالق عز وجل وهذا أعلى مراتب الجحود.

وعليه؛

كيف كان عمل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى إصلاح هذه الأمم؟.

قالت عليها السلام:

«فأنار الله بأبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار غممها، وقام فى الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم»(1).

وهنا: بيان لإنجازات النبوّة المحمدية فى حركتها التاريخية الأممية؛ بمعنى: أنّ النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما تقدم خلقه على خلق الأمم فكانت حركة تاريخ

1- الاحتجاج للطبرسى، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 1، ص 133.

النبوة أقدم من حركة تاريخ الأمم لزم ذلک أن يکون النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم قد شاهد سلوک تلک الأمم منذ أن قدر الله تعالی لها العیش علی هذه الأرض واختلاف أزمانها وتنوع أجناسها وألوانها وألسنتها وأنبیائها الذین بعثهم الله تعالی إلیها.

وهو ما دلّ علیه القرآن الکریم بقوله تعالی:

((فَکَیْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِیدٍ وَجِئْنَا بِکَ عَلَی هَؤُلَاءِ شَهِیدًا)) (1).

إذن؛

اقتضت الحرکة التاریخیة النبویة أن تکون شاهدة علی الحرکة التاریخیة الأممیة ومدونة للوقائع التاریخیة التی وقعت فی الأمم السابقة.

«فرأی الأمم فرقا فی أدیانها، عکفا علی نیرانها، عابدة لأوثانها، منکرة لله مع عرفانها فأنار الله بأبی محمد صلی الله علیه وآله ظلمها، وکشف عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار غممها، وقام فی الناس بالهدایة، فأنقذهم من الغوایة، وبصرهم من العمایة، وهداهم إلی الدین القویم، ودعاهم إلی الطریق المستقیم، ثم قبضه الله إلیه قبض رأفة واختیار، ورغبة وإیثار، فمحمد صلی الله علیه وآله من تعب هذه الدار فی راحة، قد حف بالملائکة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملک الجبار، صلی الله علی أبی نبیه، وأمینه، وخیرته من الخلق وصفیه، والسلام علیه ورحمة الله وبرکاته».

1- سورة النساء، الآیة: 41.

المسألة الرابعة: حركة تاريخ العرب قبل الإسلام فی نظر سيدة النساء عليها السلام

كثرت الـدراسات حول تاريخ العرب قبل الإسـلام وبيان الجوانب الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية لهم، وتشابهت هذه الدراسات قديما وحديثا فی بيانها للوضع المزری لهم علی هذه الأصـعدة دون التركيز علی دور الرسالة المحمدية وجهد النبی الأعظم صلی الله عليه وآله وسلم وجهاده فی نقل هذه الأمة من الحضيض إلی القمة، ومن الهمجية إلی التمدن والحداثة.

وإذا أرادت بعض هذه الدراسات الحديث عن ذلک فإنها تمرّ عليه مرورا عابرا.

فی حين أننا نجـد أن بضـعة النبی الأعظم صـلی الله عليه وآله وسـلم حينما تتحـدث عن حركة تاريخ العرب قبل الإسـلام وتبين الجوانب الاجتماعيـة والثقافيـة والعقائديـة لهم تتبعها بالتغير الجذری لسـلوک هذه الأمة وحركتها من خلال دور النبی الأعظم صـلی الله عليه وآله وسلم فی هذا البناء الجديد للأمة.

فتقول عليها السلام:

«وكنتم علی شـفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد والورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تعالی بأبی محمد صلی الله عليه وآله وسلم»(1).

1- شـرح الأخبار للقاضی النعمان المغربی، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 3، ص 35. الاحتجاج للطبرسی، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 1، ص 135 و 136. بحار الأنوار للعلامة المجلسی رحمه الله: ج29، ص 236، خ 9.

ورصدها عليها السلام للحياة التى كان عليها العرب قبل الإسلام كان مبنيا على الأسس البنائية للمجتمع العربى بحيث إن هذا البناء المتآكل والمتصدع أوشك على السقوط والانهيار.

والزهراء عليها السلام حينما تستعرض الحالة العامة لتاريخ العرب تجمع فيما بين الحياة الدنيوية والأخروية بجعل المقدمات التى كانت سببا فى إيجاد الخليقة هى خاضعة ومرتبطة بالنتائج التى سنها الله تبارك وتعالى فى سلوك هذه الخليقة، ولذا قالت: (وكنتم على شفا حفرة من النار) أى إشارة إلى تحقيق نتيجة هذا السلوك فى الآخرة مع تحقق نتيجته فى الحياة الدنيا.

ثم تنعطف عليها السلام إلى بيان الوضع النفسى العام لهذه الأمة، وهذه خصوصية خاصة إذ اعتادت الدراسات على تشخيص الحالة النفسية منفردة لكل شخص فى المجتمعات، أو انها تهمل دراسة الحالة النفسية للمجتمع ككل، لكن الزهراء عليها السلام تتحدث عن الوضع النفسى العام الذى أصبح عليه العرب قبل الإسلام، وهى بذاك تعطى بيانا للمستوى الذى يشترك فيه الجميع كنتيجة طبيعية لتوحد الجميع فى السلوكيات الفردية فأصبح سلوكا جماعيا واحدا عند الجميع.

وهو ما أشار إليه قوله تعالى:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ))(1).

أى أصبح الجميع على سلوك واحد، وهو الأمر الذى أشارت إليه عليها السلام فى بيانها لصفات هذا السلوك الجماعى، وهى «مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام».

1- سورة الرعد، الآية: 11.

فهنا تحدد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أربع صفات خاصة بالمستوى النفسى للعرب وهى بمجموعها تدلل على الانهيار والخوف، والمذلة، بحيث أصبحوا بفعل هذه الحالة (مذقة الشارب) أى: استلذاذ الآخرين بهم، لأن المذقة هى (الشربة من اللبن الممزوج بالماء)(1).

و(نهزة الطامع)، أى: أصبحوا من الضعف فرصة لكل طامع وغنيمة يغتنمها الطماع(2).

و(قبسة العجلان) وهنا تعطى صورة أخرى للمستوى الذى بلغ إليه العرب من الضعف بحيث كانوا حتى بالنسبة للشبعان الذى ليس له رغبة فى السلب، أن يأخذ منهم أى شىء فذاك أفضل من أن يفوته كل شىء، وما ذاك إلا لشدة ضعفهم وتشتت أمرهم.

وهذه الصفة لها بيان آخر: وهو أنهم أصبحوا نهبا لكل من مرّ بهم، وأن هذا النهب والسلب كان سريعا، لأن القبس هو شعلة من النار، والعجلان اسم سمى به شهر شعبان لقصر الصيام فيه ولانقضائه سريعا(3).

ومن كان هذا حالهم، فهم موطئ الأقدام يسحقون كما تسحق الهوام، أذلة خاسئين يخافون أن يتخطفهم الذين من حولهم من الفرس والروم، وهم الذين أشارت إليهم بلفظ الناس فيقودونهم عبيدا رجالا ونساءً.

1- مجمع البحرين للطريحى: ج 5، ص 235.

2- أنظر: لسان العرب لابن منظور: ج 5، ص 421، مادة (نهز). كتاب العين للفراهيدى: ج4، ص15.

3- أنظر لسان العرب لابن منظور: مادة (عجل) ج 11، ص 426 و 429. وانظر منه مادة (قبس) ج 6، ص 167.

وعليه؛ كيف ستقوم لهم قائمة؟، بل كيف يمكن أن يدفعوا عن أنفسهم الذل والمهانة والهوان وهم هذا حالهم؟!.

وهم مع هذا الضعف والذل كانوا يعيشون بطريقة همجية أقرب ما تكون حيوانية نتيجة لتفشّى الجهل والفقر والذل، فطباعهم ليست طباعاً بشرية، فقد كانوا يأكلون (القَدّ)(1) وهى جلود الحيوانات! ويشربون الطّرْق(2).

أى: ماء السماء الذى يتجمع فى حفر صغيرة فتبول به الإبل وتبعر!، بمعنى: أن حتى هذه الحيوانات لا تشرب من هذه الحفر، فأى مستوى من التردى والانحطاط على المستويات النفسية والاجتماعية والثقافية كافة كان حال العرب قبل الإسلام.

ولذلک:

بعد هذا البيان لتاريخهم اتبعته عليها السلام ببيان آخر وهو أن الحياة الكريمة التى أصبحوا عليها بعد مرور ثلاث وعشرين سنة،ـــ وهى الفترة الزمنية التى عاشها النبى الأعظم بعد البعثة ـــ كان السبب الأول فيها هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا قالت:

(فأنقذكم الله بأبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن كيف كانت عملية الإنقاذ هذه؟! سؤال تجيب عليه سيدة النساء فاطمةعليها السلام ببيان آخر تعرض فيه تاريخ حركة السيرة النبوية.

1- انظر لسان العرب لابن منظور: مادة (قدد) ج 3، ص 344.

2- لسان العرب لابن منظور: مادة (طرق).

المسألة الخامسة: بيان إنجازات النبوة فی حركتها التاريخية

اشارة

من الملاحظات التی لوحظت فی عرض السيدة فاطمة عليها السلام لحركة التاريخ هو تتبعها بشكل دقيق لمراحل تطور البشرية، أی: أنها تمزج فی هذا العرض عامل الزمن كمصداق لمفردة الحركة مع عامل التاريخ الذی يكون مصداقا للحدث.

وهنا: تقوم بضعة النبی الأعظم عليها السلام بعرض الحركة التاريخية للسيرة النبوية فی ثلاثة محاور.

المحور الأول لهذه الحركة التاريخية يتمثل فی شخص النبی الأعظم صلی الله عليه وآله وسلم.

المحور الثانی لهذه الحركة التاريخية يتمثل فی عمل النبی الأعظم صلی الله عليه وآله وسلم.

المحور الثالث لهذه الحركة التاريخية يتمثل فی النتائج التی حققها النبی الأعظم صلی الله عليه وآله وسلم.

محاور حركة تاريخ النبوة:

المحور الأول

تبدأ عليها السلام فی بيان هذا المحور بقوله تعالی:

((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيم))(1).

والآية تبين ثلاثاً من صفات النبی الأكرم صلی الله عليه وآله وسلم:

الأولی: «علاقته صلی الله عليه وآله وسلم بأمته».

والثانية: «صفاته الشخصية فهو عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم، بالمؤمنين رءوف رحيم».

1- سورة التوبة، الآية: 128.

والثالثة: «إنه عربى ومن قريش».

وهذا بحد ذاته يعطيهم زخما نفسيا ومعنويا؛ ثم تنطلق بعد هذه الآية فتقول:

«فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبى دون نسائكم، وأخا ابن عمى دون رجالكم ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم»(1).

لأن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى أنقذهم من الهلاك والموت والاندثار، لذا قالت عليها السلام تجدوه أبى دون نساءكم.

هنا: بيان لحفظ هذا الشخص الذى أنقذهم من خلال حفظ ابنته، وأن لها خصوصية خاصة بهذه الكينونية.

وأن ابن عمها على بن أبى طالب عليه السلام وهو زوجها له دونهم مثل ما لها من الخصوصية المرتبطة بشخص هذا الرجل الذى أنقذهم من الهلاك والموت والاندثار.

لكنها وجدتهم قد أخلوا بهذا الجانب خللاً شديدا؛ ولذا قالت: (ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم) وهى فى نفس الوقت قد لوحت فى هذا المحور بتحرك السنن التاريخية التى جرت فى الأمم السابقة كما سيمر بيانه.

المحور الثانى

وفى المحور الثانى فى عرضها عليها السلام للحركة التاريخية للسيرة النبوية تقوم عليها السلام ببيان العمل الذى قام به النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول:

«فبلغ الرسالة، صادعا بالنذارة، مائلا عن مدرجة(2) المشركين،

1- الاحتجاج للطبرسى، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 1، ص 134 و 135.

2- المَدْرَجَةُ، الطريق: معظمه وسننه. لسان العرب: مادة (درج)، ج 2، ص 267.

ضاربا ثبجهم(1)، آخذا بأكظامهم(2)، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام(3)، وينكث الهام(4)، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر»(5).

المحور الثالث

ثم بعد إيرادها لما قام به النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من عملٍ انعطفت عليها السلام على إيراد النتائج، فقالت:

«حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين وطاح وشيظ(6) النفاق وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص فى نفر من البيض الخماص(7)»(8).

1- الثبج، ثبج كل شىء: معظمه، ووسطه، وأعلاه، والجمع أثباج (لسان العرب): مادة (ثبج).

2- الكظيم، المكروب، ويقال: أخذ بكظمه فما يقدر أن يتنفس، أى أخذهم صلى الله عليه وآله وسلم فجعلهم لا يقدرون أن يتنفسوا، أنظر كتاب العين: مادة (كظم)، ج 5، ص 345.

3- جُف الطلعة وعاؤها الذى تكون فيه، وجُف الشىء: شَخْصُه. لسان العرب: مادة (جفف).

4- النكث: هو التفريق، والهام: هو الدماغ، فيكون المعنى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم فرق ما عليه فكرهم الضال المنحرف.

5- الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 135. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 29، ص 263.

6- الوشيظ، كأمير: الأتباع والخدم والأحلاف. «تاج العروس، الزبيدى: ج10، ص497».

7- الخميص، عفيف البطن عن أموال الناس. «لسان العرب: ج7، ص30».

8- الاحتجاج للطبرسى: ج1، ص135. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج29، ص263.

المسألة السادسة: حركة تاريخ الصحابة وأهل البيت عليهم السلام فى حياة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

اشارة

بعد ذكرها عليها السلام لبيان الحركة التاريخية للسيرة النبوية وبيان إنجازاتها وجهادها ممثلا فى ثلاثة محاور تنتقل بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لبيان الحركة التاريخية لسير الصحابة وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وحينما نقف عند معانى هذا البيان، نجد أن الزهراء عليها السلام تحدد مسارين لهذه الحركة التاريخية التى رافقت سير الدعوة النبوية.

المسار الأول: الحركة التاريخية لمسير بعض الصحابة.

المسار الثانى: الحركة التاريخية لمسير أهل البيت عليهم السلام ومعهم نفر من الصحابة.

أولاً: دلالة تحديد الحركة التاريخية لكلا المسارين

ألف ـــ إن هذا التحديد فى مسار الحركة التاريخية لسير بعض الصحابة وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يظهر أن هذه الفترة الزمنية كانت تشهد تجمعين وأن لكل منهما صفاته وإنجازاته وأهدافه.

باء ـــ إنّ هذين المسارين أخذا بالاستقلال فى حركتهما التاريخية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحيث أصبح لكل منهما مدرسته الخاصة به وله أتباعه وتلاميذه الذين ينهلون منه أحكامهم وعقائدهم.

جيم ـــ ظهور بعض الخلافات بين أنصار أعمدة هذين المسارين فى هذه الفترة الزمنية بسبب اختلاف الرؤى فى فهم الرسالة المحمدية وطريقة التعايش معها.

دال ـــ التباين فى إنجازات كلا المسارين فى الجهاد الميدانى فى ساحات الحروب أو الجهاد البنائى فى نشوء المجتمع الجديد.

ثانيا: تباين المسارين فى الحركة التاريخية

إن من يقرأ التاريخ الإسلامى بعين البصيرة والبحث العلمى والموضوعى ليرى بوضوح هذا التباين لكلا المسارين فى الحركة التاريخية للسيرة النبوية فى أثناء حياة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

أما من أناخ فى رحاب مدرسة العترة الطاهرة فإنه ليجد الحقائق تتلألأ دون جهد أو عناء.

لاسيما وهو ينظر فى كلمات بضعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهى تتحدث عن سير الحركة التاريخية فى هذه الفترة الزمنية من بعث النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يوم وفاته. فتقول عليها السلام:

«وبعد أن منى ـــ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ببهم(1) الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان(2) أو فغرت(3) فاغرة من المشركين قذف أخاه فى لهواتها(4)»(5).

1- بهم الرجال: شجعانهم. (الاحتجاج للطبرسى: ج1، ص136).

2- نجم: ظهر، وقرن الشيطان: أمته تابعوه. القرن: الروق من الحيوان، موضعه من رأس الإنسان وهو حد الرأس وجانبا. (تاج العروس للزبيدى: ج18، ص443).

3- فغرفاه: أى فتحه، والفاغرة من المشركين: الطائفة منهم. (الصحاح للجوهرى: ج2، ص782).

4- قذف: رمى، واللهوات بالتحريك: جمع لهاة اللحمة فى أقصى شفة الفم. (الصحاح للجوهرى: ج6، ص2487).

5- الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 136. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 29، ص224.

قبل أن تُظهر بضعة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم صفات كلا المسارين التاريخيين تبدأ بذكر ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهد وجهاد فى نشر الإسلام، ثم تعرض بعد هذه المقدمة حقيقة كلا المسارين فى التعامل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته التى جاء بها.

فتبدأ بذكر الحركة التاريخية لمسار أهل البيت عليهم السلام فى هذه الفترة الزمنية من عمر الرسالة المحمدية، فتقول:

«قذف أخاه فى لهواتها، فلا ينكفئ(1) حتى يطأ صماخها(2) بأخمصه(3).

ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا(4) فى ذات الله، قريبا من رسول الله، سيدا فى أولياء الله، وأنتم....»(5).

ثم بعد بيانها للحركة التاريخية لمسار أهل البيت عليهم السلام ممثلا فى هذه الفترة بشخص على أمير المؤمنين عليه السلام مع توصيف بلاغى دقيق فى دلالته وبيانه لكيفية سلوك الإمام على عليه السلام فى هذه الفترة، فتبدأ أولاً ببيان منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرابته الإيمانية فتختار من تلك المنازل، منزلة المؤاخاة، فتقول: «فقذف أخاه فى لهواتها».

1- ينكفئ: يرجع فانكفؤوا أى رجعوا. (الصحاح للجوهرى: ج1، ص67).

2- الصماخ: فرق الأذن. (الصحاح للجوهرى: ج1، ص426).

3- الأخمص ما لا يصيب الأرض من باطن القدم. (تاج العروس للزبيدى: ج9، ص275).

4- بئر كدود، إذا لم ينل ماؤها إلا بجهد.

5- الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 136. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 29، ص224.

بمعنى:أن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم حينما كان يرى يقدم المشـركون أو المنافقون يقدمون على إشـعال نار الفتنة أو الحرب فإن أول شيء يقوم به النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى محاربة هذا الفساد أن يقذف أخاه علياً فى عمق فم الحرب، وهو «اللهاة».

ثانياً: تُبين سـيدة النساء عليها السـلام فى عرضـها الحركـة التاريخية لمسار أهل البيتعليهم السـلام فى حياة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، أن الوقائع التاريخية التى سجلتها هذه الحركة تمثلت بما يلى:

1 . إنّ الإمـام عليـاً عليه السـلام لاـ يرجع من الحرب «حتى يطـأ صـماخها بـأخمصه»، أى: يطأ وسط رأس هـذه الفتنـة بباطن قـدمه وهو الأخمص.

2 . يخمد لهب هذه النار بسيفه وهو كناية عن قتل رؤساء الفتنة.

3 . مكدوداً، أى مجداً مجتهداً فى ذات الله تعالى.

4 . قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يفارقه مع وجود رتبة القرابة الإيمانية والرحمية.

5 . سيداً فى أولياء الله تعالى.

هـذه الوقائع التاريخيـة لمسار حركة تاريخ أهل البيت عليهم السـلام فى حياة رسول اللهصـلى الله عليه وآله وسـلم قابلها تسـجيل للوقائق التاريخية لمسار حركة تاريخ بعض الصحابة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكانت كالآتى:

قالت عليها السلام:

«وأنتم ـــ أى: المهاجرون والأنصار ـــ فى رفاهية من العيش، وادعون

فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون(1) الأخبار وتنكصون(2) عند النزال، وتفرون من القتال»(3).

فأول هذه الوقائع التاريخية هو: انهم كانوا فى رفاهية من العيش، أى لم تشغلهم تلك الفتن التى يثيرها المشركون فى المجتمع الإسلامى.

ثانياً: «وادعون» أى أنهم يتركون النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته وتلك الثلة من أصحابه التى وصفتها بالنفر البيض الخماص يواجهون الأخطار.

ثالثاً: «فاكهون» قد انصرفوا إلى ملذات المعيشة من الأكل والشراب فى حال كان النبى وأهل بيته وأولئک النفر البيض الخماص فى جهد وجهاد وزهد وكفاف.

رابعاً: «آمنون» لم يشتركوا فى الحروب لا بأنفسهم ولا بأهليهم ولا بأموالهم ولذا هم آمنون بتركهم الجهاد وهم آمنون بفعل اتكالهم على جهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ونفر من أصحابه رضى الله عنهم.

خامساً: من الوقائع التاريخية لمسير بعض الصحابة انهم كانوا يتربصون بأهل البيت عليهم السلام الدوائر وهذا اللفظ من بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يظهره القرآن فى بيانه للوقائع التاريخية للمنافقين والأعراب.

1- تتوقعون أخبار المصائب والفتن النازلة بنا، التوكف: التوقع، يقال: مازلت أتوكفه حتى لقيته. (الصحاح للجوهرى: ج4، ص1441).
2- النكوص: الأحجام عن الشىء، ويقال: نكص على عقبيه، ينكص وينكص، أى رجع. (الصحاح للجوهرى: ج3، ص1060).
3- الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 136.

فقال تعالى:

((إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا))(1).

وقال عز وجل:

((وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (2).

سادساً: «وتتوكفون الأخبار»، أى: كانوا يتوقعون الأخبار السيئة بأهل البيت عليهم السلام ليفرحوا بها.

سابعاً: «تنكصون عند النزال»، النكص؛ الإحجام، أو التراجع، أى: كانوا يتراجعون عند النزال فلا يواجهون الخصم بسبب الخوف لكونهم جبناء.

ثامناً: ومن الوقائع التاريخية التى سجلت لأولئک الأعراب انهم كانوا يفرون فى القتال، والفرق بين النكوص عند النزال وبين الفرار؛ وان كان السبب فى حدوثهما واحداً وهو الخوف والجُبن؛ فان النكوص أو التراجع يكون فى المواجهة الفردية شخصاً لشخص والفرار فى القتال يكون فى الأغلب عند اشتباک القوم جميعاً.

1- سورة النساء، الآية: 140 ___ 141.

2- سورة التوبة، الآية: 98.

فعندها لا يميز بين من يقاتل بشجاعة فى الوهلة الأولى على من اختار الفرار وهى فرصة لمن رغب بذلک کی لا يفتضح أمره ويُشخص.

ولذلک:

يعد الفرار أكبر ضرراً من التراجع لما يحدثه من ضرر على الجماعة أو الجيش.

ولذا: عدّ الفرار من الذنوب الكبائر.

هـذا التباين الواضح فى الوقائع التاريخية لكلا المسارين ألقى بثقله على الحركة التاريخية للإسـلام بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، مما أدى إلى تقديم التاريخ بوجهين مختلفين تكونت ملامحهما فى أروقة المدارس التاريخية الإسلامية فى المدينة والكوفة والشام، وقد أخذت السياسة الحاكمة من تحديد هذه الحركة التاريخية مأخذاً كبيراً فغيبت وقائع وغيرت حقائق لا يسعنا ذكرها(1).

بل: قد تدخلت السلطات الحاكمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل جذرى فى الحركة التاريخية لكلا المسارين.

وجـدير بنا ونحن نـدرس الحركة التاريخية عند بضـعة النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم أن نسـتوفى ما جاء عنها عليها السـلام فى بيان هذه الحركة ومراحل تنقلها حسبما وضعته الزهراء عليها السلام من محطات زمنية لهذه الحركة التاريخية التى ابتدأتها من نقطة الانطلاق الأولى لتاريخ خلق الوجود وإلى انتهاء عمر الدنيا، وما ارتبط بهذه الحركة التاريخية من سنن إلهية رافقت الأمم السابقة وسترافق هذه الأمة.

1- أنظر: الشـيعة والسـيرة النبويـة بين التـدوين والاضـطهاد، للمؤلف. وهى دراسة فى نشأة علم السـيرة وتطوره خلال القرن الأول والثانى للهجرة.

المسألة السابعة: الحركة التاريخية للمسلمين بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم

من المحطات التى عرضت فيها بضعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحركة التاريخية الكونية، هى الفترة الزمنية التى أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتى توضح فيها حركة تاريخ المسلمين. فتقولعليها السلام:

«فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة(1) النفاق، وسمل جلباب(2) الدين، ونطق كاظم الغاوين(3)، ونبغ خامل الأقلين(4)، وهدر فنيق المبطلين(5)، فخطر فى عرصاتكم(6)، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه(7) هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم(8) فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنة.

1- الحسک: ما يعمل من الحديد على مثاله، وهو من آلات العسكر، وقولهم: فى صدره، على حسيكة وحساكة، أى منغن وعداوة. (الصحاح للجوهرى: ج4، ص1579).

2- ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على مدرها. (مجمع البحرين للطريحى: ج1، ص384، باب ج).

3- الضالين: غوى، الغى: الضلال والخيبة.

4- الخامل: من خفى ذكره وكان ساقطا لا نباهة له. (الصحاح للجوهرى: ج4، ص1689).

5- الهدير: ترديد البعير صوته فى حنجرته. (الصحاح للجوهرى: ج2، ص852). الفنيق: النمل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان. (الصحاح للجوهرى: ج4، ص1545).

6- خطر: خطر البعير بذنبه إذا رفعه مرة بعد مرة ومزب به فخذيه. (تاج العروس للزبيدى: ج6، ص357). العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. (الصحاح للجوهرى: ج3، ص1044).

7- مغرزه: أى ما يختفى فيه تشبيها له بالقنفذ فإنه يطلع رأسه بعد زوال الخوف.

8- أى حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه.

((أَلَا فِی الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکَافِرِینَ))(1)»(2).

وهذا البیان الذی تعرض فیه الزهراء علیها السلام سیر الحرکة التاریخیة للمسلمین بعد وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قد تضمن میزات عدة، وهی کما یلی:

أولاً فضلاً عن بیانها علیها السلام للحرکة التاریخیة للمسلمین بعد وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فإنها تخص ضمناً أول السنن التاریخیة وقوعاً لهذه الأمة.

ثانیاً إظهار للنتائج التی أعقبت المقدمات وهی الوقائع التاریخیة للمسلمین فی هذه الفترة الزمنیة.

ثالثاً تحدید دقیق لعامل الزمن الذی بدأت فیه الحرکة التاریخیة للمسلمین بمرحلة جدیدة، أی: من وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلی حین مواراته فی روضته المقدسة وهی ثمان وأربعون ساعة.

فقد توفی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یوم الاثنین ثم ووریّ الثری لیلة الأربعاء(3).

فعلی رغم قصر هذه الفترة الزمنیة إلاّ أنها شهدت من الوقائع التاریخیة الشیء کثیر؛ فکیف کانت صورة الحرکة التاریخیة للمسلمین التی بدأت عجلاتها بالدوران وهی تسجل مرحلة جدیدة من السیر؟.

1- سورة التوبة، الآیة: 49.

2- الاحتجاج للطبرسی: ج 1، ص 136 و 137.

3- الطبقات الکبری لابن سعد: ج2، ص305.

المسألة الثامنة: الوقائع التاريخية التى كانت مقدمات للسنن الأممية

اشارة

تستعرض سيدة النساء فاطمة عليها السلام ما حدث من الوقائع التاريخية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتى تعد مقدمات لوقوع السنن التاريخية التى جرت فى الأمم السابقة، فها هى اليوم قد وقعت فى أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فكانت نتيجة حتمية لما شهدته المرحلة الأولى من الحركة التاريخية للمسلمين أثناء حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتباين المسارين فيها، أى مسار أهل البيتع ليهم السلام مع نفر من الصحابة، يقابلها أصحاب المسار الثانى وهم الأعراب النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

والسبب فى حدوث هذين المسارين ـــ كما أسلفنا ـــ نردّه إلى اختلاف الرؤى والفهم والاعتقاد بالنبوة.

تستعرض سيدة النساء عليها السلام تكملة هذا المسار الذى ظهرت مكوناته بصورة مموهة من خلال الوقائع التاريخية التى مرّ ذكرها فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى واقع علنى يضرب بقوة فى حركة تاريخ المسلمين مسجلا فيه عدداً من الوقائع التاريخية المتسارعة الحدوث والتى خلفت آثاراً ونتائج متسارعة أيضاً، وهى كالآتى:

قالت عليها السلام:

«فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم».

فما الذى ظهر فى الوقائع التاريخية فى المسلمين؟.

الواقعة التاريخية الأولى: «حسكة النفاق، أو حسيكة النفاق»

وهى: الحقد، والعداوة، والضغن، وقد ورد فى الحديث الشريف عن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن الرجل يعطى المرأة حتى يبقى ذلک فى نفسه عليها حسيكة»(1).

أى: حقد.

أى: أن هؤلاء الأعراب قد بلغ النفاق فى قلوبهم أعلى درجاته بحيث تحول إلى حقد وعداوة وبغض وهى حقيقة قرآنية ونبوية.

أما القرآن الكريم فيقول تعالى:

((فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا))(2).

وأما النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد أوضح الطبيعة السلوكية للنفاق وارتباطها بالقلب من حيث تعلق حالة الحب والبغض به.

أى: ان الحب والبغض حالتان وجدانيتان ونفسيتان من لوازم القلب، فإذا مرض القلب بالبغض بفعل النفاق انعكس ذلک على السلوكيات فيترجم فى علاقة المسلم بعلى بن أبى طالب عليه السلام.

قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلى بن أبى طالب عليه السلام:

«لا يحبک إلا مؤمن ولا يبغضک إلا منافق»(3).

1- المصنف ـــ للصنعانى، باب: غلاء الصداق، ج6، ص174.

2- سورة البقرة، الآية: 10.

3- مسند أحمد بن حنبل، مسند على بن أبى طالب عليه السلام: ج1، ص95، سنن الترمذى: ج5، ص307.

ولذلک ظهر هذا النفاق بعد أن ملئ القلب وسيطر على المشاعر فانقاد الذهن له أن أدى إلى العداوة والحقد، لان البغض أول مراتب النفاق وهو حاصل من خلال بغض الأعراب والمنافقين للإمام على بن أبى طالب عليه السلام كما ورد فى الحديث النبوى.

إذن؛

أول الوقائع التاريخية ظهوراً فى حركة تاريخ المسلمين هى ترجمة النفاق إلى واقع سلوكى شوهد على الأرض من خلال معاداة أهل البيت عليهم السلام.

الواقعة التاريخية الثانية: «سمل جلباب الدين»

وبيان هذه الواقعة التاريخية يحتمل بعض الوجوه، وهى كالآتى:

ألف. إن طبيعة المنافق أن يتظاهر بالإيمان ويبطن الكفر، بمعنى تراه حاضراً فى مواطن المظاهر الإسلامية كالمساجد والصلاة فيها أو الذهاب إلى بيت الله تعالى لأداء فريضة الحج والعمرة وغيرها من المظاهر الإسلامية التى تعد جميعها ثوب الدين وهو الذى عبرت عنه السيدة الزهراء عليها السلام بالجلباب.

الا أن الواقعة التاريخية التى كشفت سلوكيات هؤلاء الأعراب هو تركهم لهذه المظاهر علناً دون أى رادع يردعهم عن ذلک.

وعليه؛ فيكون بيان هذه الواقعة التاريخية: هو انحسار هذه المظاهر الدينية لدرجة التحريف فى الثوب.

الوجه الآخر: أن يكون المعنى من هذه الواقعة التاريخية هو منع أهل البيت عليهم السلام من القيام بدورهم من كونهم الستر الذى يستتر به المسلم على دينه،

فلا يقع فى الضلال والفتن والشبهات، ولذا فهو أصبح اليوم مهتوک الستر ترد عليه الشبهات والفتن فترديه فى دينه فيهلک، ويهلک معه دينه.

ومما يدل عليه:

ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى بيان هذا المعنى.

1 . قال عليه السلام:

«هُدى من تجلبب بجلباب الدين»(1).

وقطعاً لا يراد بالهدى الذى يهتدى به الإنسان هو هذه المظاهر التى يشترک فى أدائها المؤمن والمنافق كالصلاة مثلاً.

وإنما الجلباب الذى يهتدى من تجلبب به هو الولاية لأهل البيت عليهم السلام، كما أوصى النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أمته بذلک قائلاً:

«إنى تارک فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض؛ وأهل بيتى، أذكركم الله أهل بيتى، أذكركم الله أهل بيتى، أذكركم الله أهل بيتى»(2).

2 . فى خطبة له عليه السلام يخاطب بها المسلمين لاسيما أولئک الذين تصدوا لتحديد مسار الحركة التاريخية لبعض الصحابة فيقول:

«سترنى عنكم جلباب الدين، وبصّرنيكم صدق النية»(3).

1- عيون الحكم والمواعظ: ص512.

2- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ج3، ص478.

3- الإرشاد، للمفيد: ج1، ص254؛ الجمل، لابن شدقم المدنى: ص152؛ البحار: ج32، ص237.

قال ابن أبی الحدید فی بیان معنی هذا الحدیث: إن إظهارکم شعار الإسلام عصمکم منی مع علمی بنفاقکم؛ وإنما أبصرت نفاقکم وبواطنکم الخبیثة بصدق نیتی، کما یقال: «المؤمن یبصر بنور الله»(1).

وقد أخبر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ابنته فاطمة عما یجری من بعده، ولاسیما هذه الوقائع التاریخیة فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«فأنت أول من تلحقین بی مظلومة مغصوبة، وسوف تظهر بعدی حسیکة النفاق ویسمل جلباب الدین، أنت أول من یرد علی الحوض»(2).

الواقعة التاریخیة الثالثة: «نطق کاظم الغاوین، ونبغ خامل الأقلین، وهدر فنیق المبطلین»

یمکن أن نستظهر من خلال هذه الواقعة التاریخیة المتسارعة فی ظهور السنن التاریخیة الحقائق التالیة:

ألف ـــ هذه العناوین الثلاثة تدل علی تشکل ثلاث مجموعات فی المجتمع الإسلامی فی حیاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم؛ وأنّ هذه المجموعات لها قادة. إلا أن ظهورها علی الساحة کان عند وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم. وهذه المجموعات هی:

أولاً: مجموعة الغاوین.

ثانیاً: مجموعة الأقلین.

ثالثاً: مجموعة المبطلین.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج1، ص207.
2- البحار للمجلسی: ج36، ص288.

هذه المجموعات الإسلامية تبلورت على الحيثية العقائدية لا الاجتماعية الخاضعة لضوابط الأحساب والأنساب والفقر والغنى وحدودها، وانما ارتكزت على العقيدة بالنبوة حركة تاريخية لهذه الأمة بدأت منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا فالحديث يدور حول تشكل فرق عقائدية ضمن أنماط وسلوكيات خاضعة لمفاهيم محدودة فى التعاطى مع النبوة ومن اعتقد بها.

وأن هذه المجموعات أو الفرق الدينية قد لعبت دوراً مميزاً فى توجيه الحركة التاريخية للمسلمين، ناهيک عن امتيازها فى وضع حجر الأساس بسريان السنن التاريخية فى هذه الأمة.

وهو ما أظهرته سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام فى خطبتيها الاحتجاجيتين العامة والخاصة(1).

باء ـــ إنّ أئمة هذه المجموعات كانوا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأثناء سير الحركة التاريخية للمسلمين فى حالة من التخفى والإهمال والانزواء، بل لم يكن لهم ظهور قيادى لهذه المجموعات.

والسبب فى ذلک يعود إلى ثلاثة أمور:

1. خوفاً من أن يقدموا على عمل يكشف حقيقة اعتقادهم بالنبوة فلا يستطيعوا بعد ذلک القيام بما يخططون له، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

1- الخطبة الاحتجاجية العامة ألقتها سيدة النساء فاطمة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جمع من صحابة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أمّا خطبتها الاحتجاجية الخاصة فهى التى كانت مع بعض نساء المهاجرين والأنصار قبل وفاتها صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها.

((يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِی قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ)) (1).

وقد أشارت إليه الزهراء عليها السلام فی قولها:

«تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار».

أی يتبعون الأخبار ويتوقعون حدوث أمر سيّئ كی يبادروا إلی ما عزموا عليه وترصدوا له.

2. إن مكوناتهم النفسية لم تسمح لهم من البروز فهم من حيث التنشئة الاجتماعية قد تربوا علی الخمول والنبذ، لم يلاقوا أی اهتمام أو عناية إما لكونهم أعراباً وإما لأنهم عبيد عند أشراف قريش ووجهائها فهم بتلك التنشئة الاجتماعية مسرعون فی الإغواء يتبعون كل باطل. حتی ظهر فيهم من كان أرذلهم بحيث لا يملك القدرة علی الإفصاح وهو ما عبرت عنه بضعة النبی الأكرم صلی الله عليه وآله وسلم بقولها:

«ونطق كاظم الغاوين».

وهم بفعل هذه المكونات النفسية والنشوئية التی جعلت منهم أقل الناس شأناً لا يستطيعون الحركة أو التعايش مع الناس، فهم فی خمول وركود إلا أن رحيل النبی الأعظم صلی الله عليه وآله وسلم مكّن أخمل هذه المجموعة من النبوغ أی الظهور والبروز بعد أن كان طابعه الكسل وشأنه الضمور والانزواء.

3. إنّ الدوافع الشخصية الممثلة فی السعی من أجل بلوغ السلطة والجلوس فی محل رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ومعايشت الإمبراطوريات المعاصرة كالرومانية والفارسية

1- سورة التوبة، الآية: 64.

دفعت بعض النفوس إلى الادعاء والسعى بأحقيتها بمقام الحاكمية التى كانت لهرم السلطة الدينية الممثلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومن هنا أطلق عليها لفظ الخلافة.

فهؤلاء أسمتهم سيدة النساء فاطمة عليها السلام ب_«المبطلين»، ثم شخصت عليها السلام فى بيانها لرموز هذه الواقعة التاريخية صفة قائد هذه المجموعة التى لم تكن تظهر نواياها فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن وفاته كانت سبباً فى تجمع هؤلاء ضمن معطيات نفسية واحدة وهى بلوغ السلطة.

إلا أن الذى تمكن البروز منهم هو «الفنيق»، والفنيق: لغة فحل الإبل، والهدر هو صوت البعير الذى يتلجج فى عنقه.

ووصفها عليها السلام لقائد المبطلين بهذه الصورة هو لكونه أشدهم حرصاً على بلوغ السلطة والجلوس على سدّة الحكم.

وفى صورة أخرى تتحدث عن هذه المرحلة التاريخية وما أعقبتها من آثار ينقلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى خطابه لأقطاب الجمل، قال عليه السلام:

«بنا اهتديتم فى الظلماء، وتسنمتم ذروة العلياء، وبنا انفرجتم عن ...».

إلى قوله:

«من وثق بماء لم يظمأ»((1).

لتشكل هذه الصورة وتلك اللتين نقلهما إلينا على وفاطمة عليها السلام حقيقة الحركة التاريخية للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تبعها من وقوع للسنن التاريخية التى جرت فى الأمم السابقة.

1- ()الإرشاد للمفيد: ج1، ص254؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلى: ج1، ص207.

المبحث الثانی: السنن التاریخیة عند فاطمة الزهراء علیها السلام

اشارة

مثلما کانت الحرکة التاریخیة تحظی باهتمام بضـعة النبی صلی الله علیه وآله وسلم کذلک هو حال السنن التاریخیة، فقد رکزت علیها سیدة النساء فاطمة علیها السلام متبعة فی ذلک النهج القرآنی والنبوی فی بیان السنن الإلهیة وتوضیحها والتی أجراها الله} فی الأمم السابقة.

وحیث أن هذه الأمة ستسـیر تبعا لما سارت علیه الأمم السابقة، لاسـیما السـنن التاریخیة التی لحقت ببنی إسـرائیل؛ حسبما أوضحه النبی الأعظم صـلی الله علیه وآله وسـلم، فإن هذه الأمة سـتحذو فی سیرها حذو الأمم السابقة؛ بل ستظهر فی هذه الأمة بعض السنن التاریخیة الجدیدة التی لم تقع فی الأمم السابقة کسنة قتل أولاد الأنبیاء وما أعقبها من نتائج، وغیر ذلک من السنن.

المسألة الأولی: سنة الوقوع فی الفتنة بین المقدمات والنتائج

حینما تتحدث الزهراء علیها السـلام عن هذه السنة التاریخیة التی وقع فیها المسلمون بعد وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لم یکن حدیثها مجرد استعراض لهذه السنة أو غیرها، أی لم تکن تتحدث عنها بوصفها حدثاً تاریخیاً وقع وانتهی الحال.

وإنما تعطی المقدمات التی تهیأت لهذه السُنّة والنتائج التی أفرزتها فتبدأ أولا بذکر مقدمات الوقوع فی الفتنة، فتقول:

«فلما اختار الله لنبیه دار أنبیائه، ومأوی أصفیائه، ظهر فیکم حسیکة النفاق، وسمل جلباب الدین، ونطق کاظم الغاوین، ونبغ خامل

الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر فی عرصاتکم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بکم»(1).

هـذه المقـدمات لتکوّن الفتنـة ونشوئها، اتبعتها الزهراء عليها السـلام ببيان لتفاعل هـذه المقـدمات ونموها وتکامل تکوينها، فتقول بعد أن تهيأت المقدمات التی مکنت الشيطان من إخراج رأسه من مخدعه، فتبعه نمو وتکامل ونضوج للفتنة، فتقول عليها السلام:

«وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بکم، فألفاکم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضکم»(2).

وهنا مرحلة أخری من نضوج الفتنة، وهی استظهار للسلوک العام، فتقولعليها السلام:

«ثم استنهضکم فوجدکم خفافا، وأحمشکم فألفاکم غضابا»(3).

أی:

أصـبحوا فی مرحلـة النضوج والتکامـل الفتنی إلی مـا قبل الانفجار، وهو أشـبه ما يکون بالبرکان الـذی تجمع تحت قشـرة الأرض ولـم يبقَ لظهوره سوی وجود فتحة صغيرة.

وهذا الحال نفسه انعکس علی الواقع الإسلامی فی هذه الفترة الزمنية، فکانت النتيجة ما يلی:

1- الاحتجاج للطبرسی: ج 1، ص 136 و 137.
2- الاحتجاج للطبرسی: ج 1، ص 136 و 137.
3- المصدر السابق.

قالت عليها السلام:

«فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم».

أى الوقوع فى التيه بعد فترة قصيرة جدا من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف سيكون حالكم بعد سنين، وأى مستقبل سيكون لكم؛ ولذا قالت:

«هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنة.

((أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)) (1)».

أى: انكم جرت فيكم سنة الوقوع فى الفتنة كما جرت فى الأمم السابقة فهلكوا فيها.

المسألة الثانية: سنة تضاعف النتائج

مثلما قدر الله عز وجل فى الحياة الدنيا سنة مضاعفة نتائج الأفعال كنتيجة تدحرج كرة الثلج، أو سريان الموج فى المحيطات، أو سريان النار فى الغابات، وغيرها من الشواهد التى تتحدث عن هذه السنة الكونية فى مضاعفة النتائج كذلك الحال فى السنن التاريخية التى تتحدث عن سلوكيات الأمم والمجتمعات، بل والسلوك الفردى أيضا.

وفى هذه السُنة التاريخية تقول الزهراء عليها السلام:

«ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها»(2).

1- سورة التوبة، الآية: 49.

2- الاحتجاج للطبرسى: ج 1. أعيان الشيعة لسيد محسن الأمين: ج 1، ص 316.

أى: سوف لن يطول الأمر، بل ستتسارعون فى مضاعفة نتائج الوقوع فى الفتنة بزمن قصير كنفرة الدابة، ثم يسهل قيادة الفتنة فى مضاعفة الانحراف فتتضاعف النتائج السلبية.

وتمضى عليها السلام فى بيان هذه السُنة التاريخية فتقول:

«ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوى، وإطفاء أنوار الدين الجلى، وإهمال سنن النبى الصفى، تشربون حسوا فى ارتغاء، وتمشون لأهله وولده فى الخمرة والضراء، ويصير منكم على مثل حز المدى ووخز السنان فى الحشاء، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا.

((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ))(1)»(2).

هذا التسارع فى مضاعفة النتيجة واتساع دائرة أضرارها هى من السنن التاريخية التى جرت فى الأمم السابقة، كقوم لوط الذين تضاعفت نتيجة سلوكهم فى الاكتفاء بالرجال إلى تصميمهم على أن يخزوا لوطاً عليه السلام فى ضيفيه وهم الملائكة؛ ثم تضاعفت النتيجة فعزموا على إخراج لوط وأهل بيته من قريتهم، قال تعالى:

((وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ))(3).

1- سورة المائدة، الآية: 50.

2- الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 137 و 138. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 29، ص226.

3- سورة الأعراف، الآية: 82.

وفی قوم ثمود کانت هذه السنة من أظهر السنن التاریخیة؛ إذ منّ الله } علیهم بآیة بینة وحجة قطعیة فی کون صالح علیه السلام هو نبی الله قد أرسله إلیهم حینما أخرج لهم من الصخرة ناقة یتبعها فصیلها.

فلما تمادی بعض قومه علیه السلام فکذبوه وأنکروا هذه الآیة الإلهیة والمعجزة الربانیة، بدأت هذه السنة التاریخیة بالظهور؛ وهی مضاعفة النتیجة فکان انعکاسها علی سلوکهم أن عقروا الناقة وفصیلها، ثم تتضاعف النتیجة وتتسع دائرة أضرارها وانحدارها بأن تحدوا الله ورسوله وطلبوا نزول العذاب، اعتقادا منهم بعدم صدق نبیهم، علی الرغم من ظهور الناقة من صخرة صماء ملساء یتبعها فصیلها.

قال تعالی:

((وَإِلَی ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ یَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَکُمْ مِنْ إِلَهٍ غَیْرُهُ قَدْ جَاءَتْکُمْ بَیِّنَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَکُمْ آیَةً فَذَرُوهَا تَأْکُلْ فِی أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ))(1).

((قَالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِی آمَنْتُمْ بِهِ کَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا یَا صَالِحُ ائْتِنَا

1- سورة الأعراف، الآیة: 73.

بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) (1).

فعلی الرغم من ظهور هذه الآیة العظیمة إلا أنّهم کانوا ینکرون ویستکبرون فی الأرض ویتمادون فی الباطل، وهم لا یدرکون أنها سنة کونیة جرت فی الماديات، کما تجری فی السلوکیات البشریة.

ولذلک تذکرهم الزهراء علیها السلام بأن عندهم آیة الله } ومعجزة النبوة التی تصدهم عن الضلال والتردی، لکن مقدمات الفتنة کانت قد سرت فیهم لتتسارع معها سنة مضاعفة النتائج.

قالت علیها السلام:

«فهیهات منکم، وکیف بکم، وأنّی تؤفکون، وکتاب الله بین أظهرکم، أموره ظاهرة، وأحکامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لایحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهورکم. أرغبة عنه تریدون؟ أم بغیره تحکمون؟.

((بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)) (2)،((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِی الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (3)»(4).

1- سورة الأعراف، الآیة: 75 __ 78.

2- سورة الکهف، الآیة: 50.

3- سورة أل عمران، الآیة: 85.

4- الاحتجاج للطبرسی: ج 1، ص 137. بحار الأنوار للعلامة المجلسی رحمه الله: ج 29، ص 225، الباب 11. دلائل الإمام لمحمد بن جریر الطبری الإمامی: حدیث فدک ص 116.

المسألة الثالثة: سنة تعجيل العذاب

هـذه السـنة التاريخية ترتبط مع سـنة مضاعفة النتائج ارتباطا كبيرا؛ إذ يجرّ هذا التسارع فى مضاعفة النتائج إلى حلول الدمار ونزول العذاب بصورة متناسقة فيما بين هاتين السنتين ككرة الثلج، كلما كبرت تسارعت وتضاعفت معها الأضرار.

تقول عليها السلام:

«فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بـ:

((نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ))(1).

فبعين الله ما تفعلون.

((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))(2).

وأنا ابنة نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون»(3).

ففى الوقت الذى تأخذ فيه السنن التاريخية استحقاقها من المجتمعات البشرية سواء أكانت نتائج الأفعال إيجابية أم سلبية؛ فإن من توابع هذه السنن أن ينتظر المظلوم ما يحل بالظالم من خاتمة لحياته.

كما أن صاحب الحق يكون مطمئناً بما ستؤول إليه عاقبة أمره، ولذا فهو فى شوق وترقب لبلوغ نتائج السنن.

1- سورة الهمزة، الآية: 6 __ 7.

2- سورة الشعراء، الآية: 227.

3- الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 141.

المسألة الرابعة: سنة انقلاب الأمم بعد أنبيائها

من السـنن التاريخية التى وقعت فى الأمم السابقة هى سـنة انقلاب الناس بعد غياب أنبيائها أو موتهم؛ ويظهر أن هذه السنة التاريخية كانت قد وقعت فى بنى إسرائيل قبل موت موسى عليه السلام مما يكشف عن حجم هذه الفتنة وأثر هذه السنة.

ويبدو أن الحكمة فى تذكير النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتاريخ بنى إسرائيل وما وقع فيهم من السنن الإلهية كان لأجل أن يحذر أمته من السير على نهج بنى إسرائيل؛ إلا أن الأمر الذى أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتحقق له.

ولـذلک نجـد أن هذه الأمة قد حذت حذو بنى إسـرائيل فى انقلابها على أعقابها، غير أن الفارق بين الأمتين أن أمة بنى إسـرائيل انقلبت فى حياة نبيها موسـيعليه السـلام، وأن هذه الأمة انقلبت بعد موت نبيها صـلى الله عليه وآله وسلم والفارق أيضا: أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم مـاذا سـيجرى بعـده أثناء غيابه وذهابه لميقات ربه، بينما رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم كان يعلم بما سـيؤول إليه أمر أمته من بعده؛ ولطالما صرح بذلک.

أما عدم علم موسى عليه السلام فقد أظهره القرآن.

قال تعالى:

((وَمَا أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْکَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ)) (1).

1- سورة طه، الآية: 83 __ 85.

وأما علم النبی المصطفی بحال قومه من بعده فقد صرح به القرآن الکریم فی قوله تعالی:

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ))(1).

وأظهرته السنة، فقد روی البخاری فی صحیحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنکم تحشرون حفاة عراة.

ـــ إلی أن یقول ـــ:

وأناسا من أصحابی فیؤخذ بهم ذات الشمال!! فأقول أصحابی أصحابی، فیقال إنهم لم یزالوا مرتدین علی أعقابهم منذ فارقتهم....»(2).

وروی مسلم فی صحیحه، عن الأعمش، عن شقیق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«أنا فرطکم علی الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن علیهم فأقول یا رب أصحابی أصحابی فیقال إنک لا تدری ما أحدثوا بعدک»(3).

1- سورة آل عمران، الآیة: 144.

2- صحیح البخاری: ج 4، ص 110. مسند أحمد بن حنبل: ج 6، ص 53. المستدرک للحاکم النیسابوری: ج 2، ص 447.

3- صحیح مسلم: کتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبینا صلی الله علیه وآله وسلم، ج 7، ص 68. مسند أحمد بن حنبل: ج 1، ص 384. کنز العمال للمتقی الهندی: ج 14، ص 418، المبعث والحشر، الحوض.

وفی لفظ آخر أخرجه أحمد بن حنبل، عن أبی سعید الخدری عن النبیصلی الله علیه وآله وسلم:

«فأقول أصحابی أصحابی فیقال إنک لا تدری ما أحدثوا بعدک.

قال فأقول:

سحقا سحقا لمن بدل بعدی»(1).

أما بضعة النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم فقد کشفت الأمر علی حقیقته القرآنیة والواقعیة، لأنها عاشت هذه اللحظات التی أعقبت وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وجرت فیها هذه السنة التاریخیة، فقالت علیها السلام وقد خصت الأنصار فی خطابها فتوجهت إلیهم قائلة:

«یا معشر النقیبة(2) وأعضاد الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغمیزة(3) فی حقی والسنة(4) عن ظلامتی؟ أما کان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أبی یقول (المرء یحفظ فی ولده)؟»(5).

وهنا:

تجمع الزهراء علیها السلام بین حرکة التاریخ لمسار الأنصار فی حیاة النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم وحرکة التاریخ لمسارهم بعد وفاته صلی الله علیه وآله وسلم.

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 5، ص 333. صحیح البخاری، کتاب الفتن: ج 8، ص 87. الإیضاح لفضل بن شاذان الأزدی: ص 233. إمتاع الأسماع للمقریزی: ج 14، ص 223.

2- النقیبة: الفتیة.

3- الغمیزة: بفتح الغین المعجمة الزای ـــ ضعفة فی العمل.

4- السِنة: النوم الخفیف.

5- الاحتجاج للطبرسی: ج 1، ص 139. الانتصار للعاملی: ج 7، ص 373.

ثم تنطلق من هذا البيان إلى تحرک السنن التاريخية فی أمة أبيها صلی الله عليه وآله وسلم، فتقول:

«سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة(1) ولكم طاقة بما أحاول، وقوة علی ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد صلی الله عليه وآله وسلم؟ فخطب جليل: استوسع وهنه(2) واستنهر(3) فتقه وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال(4)، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلک والله النازلة الكبری، والمصيبة العظمی، لا مثلها نازلة، ولا بائقة(5) عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، فی أفنيتكم، وفی ممساكم، ومصبحكم، يهتف فی أفنيتكم هتافا، وصراخا، وتلاوة، وألحانا، ولقبله ماحل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم:

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِی اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)) (6)»(7).

1- إهالة:بكسر الهمزة:الدسم،وسرعان ذا إهالة:مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشیء قبل وقته.

2- وهنه الوهن: الخرق.

3- واستنهر: اتسع.

4- أكدت: قل خيرها.

5- بائقة: داهية.

6- سورة آل عمران، الآية: 144.

7- الاحتجاج للطبرسی: ج 1، ص 139 ___ 140. بحار الأنوار للعلامة المجلسی رحمه الله: ج 29، ص 227. أعيان الشيعة لسيد محسن الأمين: ج 1، ص 317.

المسألة الخامسة: سنة ظلم آل الأنبياء عليهم السلام وآثارها على الأمة

إن جميع السـنن الكونية التى سنها الله تعالى ولاسيما السنن التاريخية تكون مصحوبة بمجموعة من الآثار حال وقوعها، وقد نجد أن بعض هـذه السـنن لها قابليـة الدفع بآثارها إلى أزمنة متعاقبة، بل يظهر أن بعض السـنن لها ديمومة هائلة فى المحافظة على آثارها ما دامت هناك حياة على الأرض، أى أن هذه الآثار باقية ببقاء الليل والنهار، ومسـتمرة باستمرار البشرية، وهذا يكشف عن عظم هذه السنة التاريخية الإلهية وخطورة الوقوع فيها.

ومن أبرز هذا النوع من السنن، هى سنة ظلم آل الأنبياء عليهم السلام.

ويختلف نوع الظلم النـازل بأنبيـاء الله تعـالى حسب الظروف التى ينشـأ فيهـا الظلم والأـفراد والزمان والمكان، إلا أنّ من أكبر ما يقع على الأنبياء من الظلم هو ما يصيب أبناءهم، لما وضعه الله تعالى من عاطفة خاصة وعلاقة حميمة بين الآباء والأبناء.

وحينما يستعرض القرآن أنواع الأذى الذى أصاب الأنبياء عليهم السلام وما تبعه من آثار على الأمم نجده يقدم ثلاثة أنواع من الأذى، وهى (الأذى العقائدى، والأذى الجسدى، والأذى النفسى.

فالنوع الأول انحصر فى تكذيبهم والاستهزاء بهم واتهامهم بالجنون.

وفى النوع الثانى انحصر الأذى فى التعرض إلى أجساد الأنبياء عليهم السلام من الضرب والجوع والقتل.

وفى النوع الثالث انحصر الأذى فى التعرض لآل الأنبياء وأرحامهم ومن آمن بهم.

أما آثار النوع الأول من الأذى فقد أظهره القرآن فى قوله تعالى:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِى ذَلِکَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ))(1).

وهم قوم هود عليه السلام. وفى قوم شعيباً عليه السلام وهم أصحاب الأيكة قال }:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ))(2).

وفى قوم مدين حينما كذبوا شعيب عليه السلام قال تعالى:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ))(3).

ويلاحظ فى هذه الآية وغيرها التى تبين السنن التاريخية الإلهية فى الأمم السابقة أن هذا البلاء حينما يقع على الأمم يكون فى حياة الأنبياء عليهم السلام فيبيد الله تعالى هذه الأمم الظالمة وينجى أنبياءه عليهم السلام ثم يرسلهم الله تعالى إلى أمة أخرى وقوم آخرين كما تحدثت الآيات عن شعيب عليه السلام أو خروج لوط من قريته أو انتقال إبراهيم عليه السلام من العراق إلى بيت المقدس ثم إلى مكة وهكذا.

وفى صورة النوع الثانى من الأذى، وهو الأذى الجسدى وما يتبعه من آثار على الأمة فقد أظهره القرآن فى قوله تعالى:

((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِکَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِکَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ))(4).

1- سورة الشعراء، الآية: 139.

2- سورة الشعراء، الآية: 189.

3- سورة العنكبوت، الآية: 37.

4- سورة آل عمران، الآية: 112.

وفی صورة النوع الثالث من الأذی الذی ینزل بالأنبیاء علیهم السلام وما یتبعه من آثار، قال تعالی:

((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)) (1).

فهذه السنة التاریخیة وما ارتبط بها من آثار تفاوتت فی حجمها وسعتها ودوامها وقوة تأثیرها؛ قد جرت فی هذه الأمة الإسلامیة بعد وفاة نبیها صلی الله علیه وآله وسلم بصورها الثلاث.

إلا أن الفارق بین الأمم السابقة وهذه الأمة یکمن فی الأمور الآتیة:

1 ـــ أن نبی هذه الأمة صلی الله علیه وآله وسلم وجوده یرفع العذاب عن الخلق، أی ما دام حیا فإن العذاب لا ینزل بأمته وإن کذبوه ورضخوه بالحجارة وأدموه وجوّعوه وهجّروه وآذوا أهل بیته وقتلوا رحمه کحمزة بن عبد المطلب وما قامت به هند زوجة أبی سفیان من التمثیل بجسده، وقتل جعفر بن أبی طالب وعبیدة بن الحارث بن عبد المطلب، ناهیک عن الأذی البالغ الذی کان ینزله المنافقون برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأمور أخری کثیرة یطول ذکرها.

إذن: وجوده صلی الله علیه وآله وسلم بین أمته کان یرفع عنهم العذاب.

قال تعالی:

((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ))(2).

1- سورة النساء، الآیة: 155 ـــ 156.

2- سورة الأنفال، الآیة: 33.

2 ـــ لكونه الرحمة التى أرسلها الله للعالمين، ووجود الرحمة يرفع العذاب وإن وقع الأذى عليه صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

((وَمَا أَرْسَلْنَاکَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ))(1).

3 ـــ لكونه صلى الله عليه وآله وسلم لم يدعُ على قومه على الرغم من إيذائهم له، وكان يقول ـــ بأبى وأمى ـــ:

«اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون»(2).

لكن الأمر بعد موته اختلف كليا، فقد رفعت تلك السنن والقوانين الإلهية التى جعل الله قيامها وحركتها بوجوده صلى الله عليه وآله وسلم، أى: تحرك السنن التاريخية التى جرت فى الأمم السابقة فيما قدموا على ظلم الأنبياء عليهم السلام وتغلغل آثار هذه السنن ونفوذها فى حال وقوعها.

وهو الأمر الذى أظهرته بضعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما توجهت بخطابها إلى الأنصار خاصة، فقالت عليها السلام

:

أيْها بنى قيلة! أأهضم تراث أبى وأنتم بمرأى منى ومسمع، ومبتدأ ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون

1- سورة الأنبياء، الآية: 107.

2- العقد النضيد والدر الفريد لمحمد بن الحسن القمى: ص 51، ح 37. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 62، ص 247، برقم 7932. الدر المنثور لجلال الدين السيوطى: ج 3، ص 94. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 21، ص 119، ح 17. ذكر أخبار إصبهان للحافظ الإصبهانى: ج 2، ص 149.

بالخير والصلاح، والنجبة التى انتجبت، والخيرة التى اختيرت، قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى حرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الاقدام، وأشركتم بعد الايمان.

((أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))(1).

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذى تسوغتم، ف_:

((وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)) (2)»(3).

ويظهر هنا فى كلامها عليها السلام: تقديم الحركة التاريخية لمسير الأنصار فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مماته مع وقوع السنن التاريخية، ولاسيما سنة ظلم الأنبياء عليهم السلام فى أنفسهم ممثلا ذلک فى آل الأنبياء عليهم السلام؛ وبخاصة أنها ابنته الوحيدة

1- سورة التوبة، الآية: 13.

2- سورة إبراهيم، الآية: 8.

3- الاحتجاج للطبرسى: ج1، ص140. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج29، ص228.

التی خصـها بخصائص عدیدة تکشف عن مدی قربها من شخص النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم، فهی قلبه وروحه التی بین جنبیه مع اختصاصـها بموصول الأـذی والغضب والرضـا بشـخص النبی الأکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم، کما دلت علیه النصوص المتضافرة، والمشهورة عند المسلمین.

ومع علمهم بمـا خصـها الله تعـالی من الکرامـة والارتباط برسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وما یترتب علی إیـذاء رسول الله من آثار خاصـة تتناسب مع مقامه وکرامته عند الله تعالی، إلا أن ذلک لم یکن بحائل ولا مانع لهم من إیذائها علیها السـلام، لیناولوا بذلک ما اقترن بهذه السنة التاریخیة من آثار خاصة کشفتها لهم الزهراءعلیها السلام فقالت:

«ألا وقد قلت ما قلت علی معرفة منی بالخذلة(1) التی خامرتکم(2)، والغدرة التی استشعرتها قلوبکم، ولکنها فیضة النفس، ونفثة الغیظ، وخور(3) القنا(4)، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة.

فدونکموها فاحتقبوها(5) دبرة(6) الظهر، نقبة الخف(7)، باقیة العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة ب_:

1- الخذلة: ترک النصر.

2- خامرتکم: خالطتکم.

3- الخور: الضعف.

4- القنا: الرمح؛ والمراد هنا من ضعف القنا، ضعف النفس عن الصبر علی الشدة.

5- فاحتقبوها: فاحملوها علی ظهورکم.

6- دبرة: دبر البعیر، أصابته الدبرة بالتحریک وهی جراحة تحدث من الرجل.

7- نقبة الخف: نقب خف البعیر رق وثقب.

((نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفْئِدَةِ)) (1).

فبعين الله ما تفعلون.

((وَسَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ))(2)»(3).

المسألة السادسة: سنة رين القلوب بين الأسباب والنتائج

من السـنن التاريخية التی عرضـها القرآن مجملا ومفصـلا هی سنة رين القلوب، فمن حيث المجمل يذكر القرآن الأسباب التی تؤدی إلی تكون هذه السنة وآثارها ممثلا ذلک بالنتائج.

قال تعالی:

((وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (10) الَّذِینَ یُکَذِّبُونَ بِیَوْمِ الدِّینِ (11) وَمَا یُکَذِّبُ بِهِ إِلَّا کُلُّ مُعْتَدٍ أَثِیمٍ (12) إِذَا تُتْلَی عَلَیْهِ آیَاتُنَا قَالَ أَسَاطِیرُ الْأَوَّلِینَ (13) کَلَّا بَلْ رَانَ عَلَی قُلُوبِهِمْ مَا کَانُوا یَکْسِبُونَ)) (4).

وذكرها القرآن مفصـلا فی سـير حديثه لنتائج تكذيب الأنبياء عليهم السـلام ويظهر من العرض المجمل والمفصل لهذه السُنة التاريخية أن الأساس فی تكونها هو التكذيب بما جاءت به الأنبياء عليهم السلام إلی أقوامهم فيلحقه التكذيب باليوم

1- سورة الهمزة، الآية: 6 __ 7.

2- سورة الشعراء، الآية: 227.

3- الاحتجاج للطبرسـی: ج 1، ص 141. بحار الأنوار للعلامة المجلسـی رحمه الله: ج 29، ص 229. مناقب آل أبی طالب لابن شـهر آشوب: ج 2، ص 50.

4- سورة المطففين، الآية: 10 __ 14.

الآخر، ليصل إلى ذروته فى حجب الأذن عن كل موعظة أو إنذار أو تحذير أو آية أو معجزة فيكون عند ذلک الرين على القلوب أى حجبها وصدأها وموتها عند ذلک فلا حياة لها.

وإذا ما وصلت القلوب إلى تلک المرحلة تمادت فى الظلم وظهر منها ما لم يظهر من أشد الوحوش قساوة وشراسة والعياذ بالله.

ولذلک تتوجه صلوات الله وسلامه عليها فى بيانها لهذه السنة التاريخية وما يعقبها من نتائج إلى عامة الناس من المهاجرين والأنصار والأعراب، لأن الأمر لم يتعلق بفئة محددة بل بقانون إلهى وسنة ربانية جرت فى جميع الأمم السابقة، وقد وقعت فى هذه الأمة.

فقالت عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وولدها الصلاة والسلام:

«معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر.

((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)) (1).

كلا ـ بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان بأورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالک المبطلون»(2).

1- سورة محمد، الآية: 24.

2- الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 144.

المسألة السابعة: سنة الاستقامة فى السلوك

فى الوقت الذى كانت فيه فاطمة الزهراء عليها السلام تحذر المسلمين من الوقوع فى فم السنن التاريخية التى توجدها السلوكيات المنحرفة فتقذف بها فى الهاوية والخسران المبين، كانت عليها السلام أيضا تذكر بالسنن التاريخية التى تكون وليدة السلوكيات المستقيمة والمنضبطة بضوابط الشريعة المقدسة، وما تثمره من نتائج خيرة تعود على الإنسان بالسرور والخير والبركة فى الدنيا والآخرة.

قالت عليها السلام:

«وما الذى نقموا من أبى الحسن عليه السلام؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال(1) وقعته، وتنمره(2) فى ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيرا سجحا(3)، لا يكلم(4) حشاشه، ولا يكل(5) سائره، ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا(6)، صافيا، رويا، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى

1- النكال: ما نكلت به غيرك كائنا ما كان.

2- تنمر: عبس وغضب.

3- سجحا: سهلا.

4- يكلم، كلمه: جرحه.

5- يكل: يتعب.

6- النمير: الأبيض.

منها بنائل(1)، غير رى الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب.

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))(2). ((وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ)) (3)»(4).

وقد حددت عليها السلام آثار هذه السنة التاريخية، أى سنة الاستقامة بالعوائد التالية:

1 ـــ الرد إلى الشريعة السمحاء، أى دفع الوقوع فى الشبهات.

2 ـــ حمل الأحكام الشرعية فيكون الناس فقهاء عرفاء بشريعتهم فلا وجود للجهل بينهم، أى رفع المستوى التعليمى عند هذه الأمة لتكون كما أراد الله لها خير أمة أخرجت للناس، ولكى تستطيع أن تمارس دورها الإرشادى للأمم. قال تعالى:

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)).

3 ـــ سهولة السير فى متطلبات الحياة سواء الدنيوية أو الأخروية. وهو قولها «ولسار بهم سيراً سجحا».

1- النائل: مثل الذى يعدو وعليه حمل ينهض به، أى لم يكن يحتمل من الدنيا بحمل.

2- سورة الأعراف، الآية: 96.

3- سورة الزمر، الآية: 51.

4- الاحتجاج للطبرسى: ج1، ص147 ـــ 148. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج43، ص160.

4 ـــ طبيعة هذا السير وصفاته ثلاث.

ألف . عذوبة الحديث.

باء . لا يتعب السائر من سيره.

جيم . ولا يمل الراكب من ركوبه.

5 ـــ المكان الذى سيصلون إليه فى هذا السير الذى يسيرون به مع على عليه السلام سيأخذهم من خلاله إلى مكان يتصف بصفات عدة، وقد شبهته عليها السلام بالنهر الجارى دلالة على العيش الرغيد ومن صفاته:

أ. العذوبة.

ب. الصفاء.

ج. يروى من العطش.

د. الكثرة.

هـ. تطفح ضفتاه.

و. لا يتجمع الطين على جوانبه.

ز. وأن الشارب من هذا الماء يصدر عنه، أى ينتقل عنه وهو ريّان.

6 ـــ إن هذه السنة التاريخية ومما تقدمه من ثمار وفوائد، مشروطة بأن يكون القائد أو الحاكم ناصحاً لرعيته فى السر والعلن.

ثم تنعطف عليها السلام إلى ثمار اتباع قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى التمسك بوصيه؛ فتذكر لهم صفات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه إماماً وحاكماً وراعياً لهم ـــ كما مرّ ـــ.

المسألة الثامنة: سنة ترک التمسک بأحکام الله } بين المقدمات والنتائج

حينما بينت الزهراء عليها السلام سنة الاستقامة فی السلوکيات البشرية ونتائجها الإيجابية علی الإنسان فی الدارين، تنتقل عليها السلام بعد ذلک لبيان العکس أی سنة ترک الاستقامة والتمسک بأحکام الله تعالی، وتُظهر أيضا مقدمات هذه السنة التاريخية ونتائجها علی مصير المجتمع الذی تجری فيه.

قالت عليها السلام:

«ليت شعری إلی أی أسناد استندوا؟! وإلی أی عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسکوا؟! وعلی أية ذرية أقدموا واحتنکوا(1) لبئس المولی ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا»(2).

حينما سارت هذه الأمة سير الأمم السابقة ووقعت فی فم السنن التاريخية التی مر ذکرها فکانت النتائج مضاعفة، والآثار مستمرة فمن البديهی أنها ستسير نحو الهلاک والتمادی فی الظلم والضلال.

ولذلک:کانت تتعجب من هذا السلوک المتغير بعد وفاة رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم، بل تضع المقدمات لما هو أسوأ آثارا من جميع السنن التاريخية الأخری. فتقول عليها السلام:

«استبدلوا الذنابی والله بالقوادم، والعجز بالکاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

1- احتنکوا: استولوا عليهم، أنظر: الصحاح للجوهری: ج4، ص158.

2- الاحتجاج للطبرسی: ج 1، ص 148. بحار الأنوار للعلامة المجلسی رحمه الله: ج 43، ص 160. صحيفة الزهراء عليها السلام، جَمَعَهُ الشيخ جواد القيومی: ص 254.

((أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ))(1). ويحهم.

((أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))(2)»(3).

أما النتائج المفجعة والفادحة لسلوك الأمة هذه السنة التاريخية، فتظهرها لهم بضعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول عليها السلام:

«أما لعمرى لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دما عبيطا وذعافا مبيدا، هنالک يخسر المبطلون، ويعرف التالون، غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، واطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم، وأنى بكم، وقد عميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون»(4).

هذا الكم الكبير من المفاهيم والرؤى والتشخيص لحركة التاريخ وسننه الذى ورد فى القرآن ومن العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام أعطى دفعا قويا لمن تتلمذ فى هذه المدرسة على التخصص فى هذا الفن والإحاطة به.

1- سورة البقرة، الآية: 12.

2- سورة يونس، الآية: 35.

3- معانى الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله: باب معانى قول فاطمة عليها السلام، ص 355. دلائل الإمام لمحمد بن جرير الطبرى الإمامى: ص 127. أمالى الطوسى: ص 375. الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 148. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 43، ص 158.

4- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 43، ص 160 ـــ 161. الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص148.

بل قد شـكل هذا التشـخيص والدراسة لحركة التاريخ والسـنن التاريخية من قبل القرآن والرسول الأعظم صـلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السـلام وبضـعة النبى فاطمـة الزهراء عليها السـلام بخلق حالة متميزة من الوعى التاريخى والنقد والفهم والدراسة الدقيقة والمتأنية لما حدث وما يرتبط فى كينونته من الزمان والمكان والأفراد والرواة والدوافع والأسباب والنتائج.

نتيجة البحث

يمكن أن نجمل نتيجة البحث فى النقاط الآتية:

1. حركة التاريخ وسننه عند المسلمين قد اكتسبت مادتها ومعانيها ودلالاتها من القرآن والعترة عليهم السلام.

2. ان عرض القرآن الكريم للوقائع التاريخيـة الأمميـة كان يراد به بناء هذه الأمة وسـلامة سـيرها من الوقوع فى فخ تلك السـنن التى فتكت بالأـمم السابقـة فلم يبقَ منهـا سوى الاطلاـل وأعمـدة بنـاء متعريـة تحيطها أكوام من الحجارة المتناثرة، أمّا نتاجها العلمى فهو منوط بأفراد استفادوا من تاريخ أسلافهم فاتعظوا به فلزموا أخيارهم ونبذوا فجارهم.

3. إن هذه الأمة لم تتعظ بتلك السـنن التاريخية للأمم السالفة ولم تلتفت إلى تحذيرات نبيّها صـلى الله عليه وآله وسلم ولم تلتزم بمناهى قرآنها فاتبعت سـنن من كان قبلها حـذو النعل بالنعل؛ بل لقـد أحـدثوا سـنناً جديـدة لم تصل إليها عقول الأمم السابقـة فظهرت فيها نتائج خلفت تلك المقدمات السننية فكانت آثارها جسيمة ورودها متعاظمة.

4. ان حركة التاريخ وسننه عند أمير المؤمنين عليه السلام اتسمت بالإحاطة التامة

بتلک السنن وبیان العامل المشترک فی وقوعها وتشخیص نتائجها وتوضیح غرض ذکرها وتذکیر الناس بها.

5. ان حرکة التاریخ عند سیدة النساء فاطمة علیها السلام امتازت عن القرآن فی تحدید نقطة بدء الحرکة التاریخیة لتلازم الزمن فی دیمومة التاریخ. قبل تشخیصها للسنن الأممیة، لکونها من توابع الحرکة التاریخیة.

6. تفردها علیها السلام فی بیان حرکة تاریخ النبوة وتلازم هذا البیان مع مکنون القرآن مع إظهار العلة فی جعل الخلیفة قبل الخلیقة.

7. بیانها لانجازات حرکة تاریخ النبوة الکونیة وشهودیة النبی الأعظم علی الأمم السابقة.

8. تشخیصها لمعالم حرکة تاریخ العرب قبل الإسلام مع اتساع عین التاریخ علی خصوصیات الأمة العربیة وأنماط حیاتها الاجتماعیة وتحدید سلوکیات أفرادها.

9. بیان انجازات الحرکة التاریخیة لسیر النبوة وإظهار معاناتها وتحدید قابلیات الناس واستعداداتهم الذهنیة والروحیة للتعاطی مع النبوة والاعتقاد بها.

10. تحدیدها لوجود مسارین للحرکة التاریخیة فی حیاة النبی الأعظم وتعاظم هذین المسارین بعد وفاته صلی الله علیه وآله وسلم.

11. ان السنن التاریخیة عند سیدة النساء انحصر بیانها فیما یخص هذه الأمة وان هذه الأمة هی أسرع الأمم وقوعاً فی فخ السنن التاریخیة.

12. ابتداء وقوع السنن التاریخیة فی هذه الأمة قبل ان یدفن رسول اللهصلی الله علیه وآله وسلم.

مع تشخيصها لبذور الفتنة والتى تعد أول مقدمات السنن التاريخية التى أهلكت الأمم السابقة.

13. إن بيان السنن التاريخية عند سيدة النساء لم ينحصر فى عرض السنن التى أهلكت الأمم السابقة بل عرضت وبينت السنن التاريخية التى تحيى الأمم وتحفظها وتدر عليها الخير والأمن والأمان والرخاء.

14. إن هذه الأمة لو لزمت ما أمرها الله تعالى ورسوله به لأكلت من خير السماء والأرض ولسادت الدنيا وأصلحتها لكنها لم تلزم عهد الله كما فعل بنو إسرائيل حينما نقضوا إيمانهم وما عاهدوا الله عليه. قال تعالى:

((يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ))(1).

وفى أهل مكة يقول القرآن:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))(2).

فهذا ما خاطبت به سيدة نساء العالمين عليها السلام فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين لتحذرهم من السير على نهج الأمم السابقة.

فهل من نذير؟!.

1- سورة البقرة، الآية: 40.

2- سورة الأعراف، الآية: 96.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹